الباب الأول

تعريف العبودية ومعانيها

وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول

تعريف العبودية ومرادفاتها والفروق بينها

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول

معنى العبودية في اللغة وفي الاصطلاح

والعلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف

الاصطلاحي وتحقيق العبودية والعلاقة

بين العبودية والعبادة

المبحث الأول

معنى العبودية في اللغة

أصل هذه الكلمة من الفعل (عَبَدَ)، الذي وردت مادته (ع ب د) باشتقاقها للدلالة على معنى الذل والخضوع، فأصل العبودية: الخضوع والذل، يقال: فلان بيّنُ العُبودة والعبودية، والعبدية، وأقر بالعبودية.

ويقال طريق مُعَبَّد؛ إذا كان مذللا بكثرة الوطء[١].

والتعبيد: التذليل، والعبادة: الطاعة مع الخضوع، وقيل هي الخضوع للإله على وجه التعظيم[٢].

والتعبد: التنسك والتذلل[٣]، يقال عَبَد الله يعبده عبادة: أي تألّه وتنسّك وانقاد له وخضع، وذل[٤]، و(فلان عابد: هو الخاضع لربه المستسلم المنقاد لأمره)[٥] .

وقوله â f$, ÇeR6Wá[٦] أي نخشع ونذل[٧].

---

(١) انظر أساس البلاغة للزمخشري (٩٥/٢). مطبعة دار الكتب، ط الثانية، لسان العرب لابن منظور (٢٧١/٣) دار الفكر للنشر والتوزيع، دار صادر بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.

(٢) انظر مجمل اللغة لابن فارس (٦٤٢/٣) مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٤ – ١٩٨٤م، ولسان العرب لابن منظور (٢٧٣/٣)، القاموس المحيط للفيروزآبادي (٣٧٨، ٣٧٩)، والمعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية بمصر (٥٨٥/٢) قام بإخراجه إبراهيم مصطفى – أحمد حسن، حامد عبد القادر، محمد علي النجار، أشرف على طبعه: عبد السلام هارون، المكتبة العلمية طهران.

(٣) تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري (٥٠٣/٢) دار العلم للملايين بيروت، ط(٢) ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، لسان العرب (٢٧٢/٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي (٣١١/١).

(٤) مجمل اللغة لابن فارس (٦٤٢/٣) أساس البلاغة للزمخشري (٩٥/٢). لسان العرب لابن منظور (٢٧٢/٣) وتاج العروس للزبيدي (٤٠٩/٢).

(٥) انظر جامع البيان للطبري (٦٩/١). دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الأولى ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

(٦) سورة الفاتحة: (٥).

(٧) انظر القاموس المحيط للفيروزآبادي (٣١١/١).

عرف الراغب العبودية فقال: إظهار التذلل لله تعالى[1].

خلاصة القول في هذه التعريفات اللغوية:

أن التعبد بمعنى: الذل، والخضوع، والطاعة، والتنسك للمعبود.

(١) مفردات ألفاظ القرآن العظيم، للراغب الأصفهاني (٣٩١/١) دار المعرفة، لبنان، تحقيق: محمد سيد كيلاني

معنى العبودية في الاصطلاح الشرعي

عُرّفت العبودية في الشرع بتعريفات عدة، مأخوذة من أصلها اللغوي ومن ذلك:

تعريف ابن جرير الطبري[1]: - رحمه الله – فقال: "العبادة الخضوع لله بالطاعة والتذلل له بالاستكانة "[2].

وعرفها ابن تيمية: - رحمه الله - فقال: " العبادة تتضمن كمال الحب ونهايته وكمال الذل ونهايته"[3]. وهذا مأخوذ من المعنى اللغوي، ثم عرفها بتعريف شرعي شامل فقال: "العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة "[4]. هذا

---

(١) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر، إمام المفسرين، الامام المجتهد المحدث المؤرخ اللغوي، صاحب التصانيف، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، رحل في طلب العلم وسمع بالعراق والشام ومصر وغيرها قال ابن خزيمة وقد نظر في تفسير ابن جرير: نظرت فيه من أوله إلى آخره ولا أعلم على أديم الأرض أعلم من محمد بن جرير، وكان ممن لا تأخذه في الله لومةلائم، كان يحكم بقوله ويرجع إلى رأيه، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين، وتوفي سنة ٣١٠هـ.

ينظر: سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٦٧/١٤) مؤسسة بيروت ١٤١٣هـ ط التاسعة، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم القرقسوسي، وطبقات المفسرين للسيوطي تحقيق علي محمد عمر، مكتبة وهبة مصر، ط١، ١٣٩٦هـ، ص٩٥، تاريخ بغداد (٢/ ١٦٢) طبقات الفقهاء للشيرازي: ٧٦، تهذيب الأسماء واللغات للنووي (١ / ٧٨) ط الأولى دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد – الهند، دار الكتب العلمية بيروت. طبقات الشافعية لابن السبكي (٣ / ١٢٠) تحقيق محمود الطناجي د. عبدالفتاح الحلو طبع ونشر دار إحياء الكتب العربية بمصر القاهرة .

(٢) جامع البيان لابن جرير الطبري (١٩٦/١).

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٦/١٠) طبع بأمر خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز – رحمه الله – وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ، وابن تيمية: هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس بن شهاب الدين ابن مجد الدين، ولد في عاشر ربيع الأول سنة ٦٦١هـ، كان فقيهاً ماهراً، مميزاً، مصنفاً، درس وأفتى وفاق الأقران، وكان عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول والإطالة على مذاهب السلف والخلف، مات في ليلة الاثنين، العشرين من ذي العقدة سنة ٧٢٨هـ، الدرر الكامنة لابن حجر (٤٦/١ - ٤٧) .

(٤) العبودية لابن تيمية المكتب الإسلامي ٣٨ ط السادسة – ١٤٠٧.

التعريف مأخوذ من مفهوم النصوص الشرعية كقوله تعالى: " $<tBr 'ÅÝ@r 'ÎX ¹ bÎ@êâ

á ÇïÎÈ ûüÏ÷ÍÍ?ÏqÇBÀr& ÏBr NÎBé7ÿ‹Îr ¼ç9 7ƒÎŸ ŵ ÇïÈ ûüÏ»èÆÉ ' + † ÎŠJBr [1]

وعرفها ابن كثير[2]: - رحمه الله – فقال: "العبادة في الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"[3].

يتضح من تعريف ابن جرير وابن كثير – رحمهما الله - أنهما جمعا بين المعاني اللغوية وربطاها بالمصطلحات الشرعية .

فالعبودية: اسم جامع لهذه المراتب الأربع من قول اللسان وعمل القلب والجوارح[4].

من خلال هذه التعاريف يتضح لنا أن معنى العبودية فيها ما يتوصل إليه من الخضوع والتذلل لله، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، قولية أو فعلية، برضى واختيار؛ لأن غير الراضي لا يكون عابداً، وهكذا المجبور على فعل الشيء خوفاً لا يكون عابداً.

العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي:

إذا تأملت العلاقة بين التعريف اللغوي والتعريف الاصطلاحي في العبودية أجد قاسماً مشتركاً بينهما، إذ أنهما يلتقيان في معاني الخضوع والذل، والطاعة وهذه المعاني كلها

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٢ – ١٦٣.

(٢) هو إسماعيل بن عمر بن كثير الحافظ عماد الدين أبو الفداء الدمشقي الشافعي، ولد سنة إحدى وسبعمائة، وكان قدوة العلماء والحفاظ وعمدة أهل المعاني والألفاظ، لازم أبا الحجاج المزي وصاهره وأخذ عنه علم الحديث، وأخذ الكثير عن ابن تيمية، وله مصنفات كثيرة منها تفسيره الشهير تفسير القرآن العظيم، مات سنة ٧٧٤هـ ودفن بجانب شيخه ابن تيمية. ينظر أنباء الغمر لابن حجر (١/ ٣٩) الدرر الكامنة لابن حجر (١/٩٩٣) ط٢، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية حيدر أباد الهند، طبقات الشافعية لابن القاضي شهبة: (١/٩٠) تحقيق: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح الحلو، مطبعة البابي الحلبي مصر، ط الأولى ١٣٣٦هـ، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي: (١١/ ١٢٣) ذيل تذكرة الحفاظ للسيوطي: ٥٧، طبقات المفسرين للداوودي: (١ / ١١١) تحقيق: نخبة من العلماء، طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٣هـ..

(٣) تفسير القرآن العظيم (١/٣٩) مؤسسة الريان مؤسسة الكتب الثقافية، الطبعة الثامنة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٤) مدارج السالكين (١/١٠٠) .

موجودة في التعريف الاصطلاحي للعبودية، فالعبد المتذلل لله يخضع له، وينقاد طائعاً لأمره ونهيه، كما أنه يفرده بهذا التذلل والانقياد بلا شريك؛ لأن في الشرك بُعدًا عن مقتضيات التذلل والخضوع[١].

تحقيق العبودية:

وبعد تعريفنا للعبودية في اللغة، وفي الشرع نوضح كيف تتحقق عبودية الله سبحانه وتعالى.

حقيقة العبودية عند ابن القيم – رحمه الله -[٢]:

" الحب التام، مع الذل التام، والخضوع للمحبوب"[٣].

وقال أيضاً " إن تمام العبودية هو بتكميل مقام الذل والانقياد، وأكمل الخلق عبودية أكملهم ذلاً لله، وانقياداً، وطاعة، والعبد ذليل لمولاه الحق بكل وجه من وجوه الذل فهو ذليل لعزه وذليل لقهره، ذليل لربوبيته فيه وتصرفه وذليل لإحسانه إليه وإنعامه عليه، فإن من أحسن إليك فقد استعبدك وصار قلبك معبداً له وذليلاً تعبد له لحاجته إليه على مدى الأنفاس في جلب كل ما ينفعه، ودفع كل ما يضره" [٤]. وقال أيضاً وتتحقق أي العبودية: "إذا تحقق القلب واللسان والجوارح بما يحبه الله ورسوله ويرضاه[٥].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: "فكمال المخلوق في تحقيق عبوديته لله وكلما ازداد العبد تحقيقاً للعبودية ازداد كماله، وعلت درجته، ومن توهم أن المخلوق يخرج عن العبودية بوجه من الوجوه، أو أن الخروج عنها أكمل فهو من أجهل الخلق وأضلهم"[٦] قال

---

(١) انظر التحرير والتنوير لابن عاشور (١/١٨٠) دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، لا يوجد تاريخ طبعة.

(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمي الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ولد سنة ٦٩١ تتلمذ على كثير من العلماء ابن الشيرازي وإسماعيل ابن مكتوم وابن أبي الفتح وابن تيمية، جريء الجنان واسع العلم، عارفا بالخلاف ومذاهب السلف، وغلب عليه حب ابن تيمية حتى كان لايخرج عن شيء من أقواله وهو الذي هذب كتبه ونشر علمه،، واعتقل مع ابن تيمية، وقال ابن كثير: كان ملازما للاشتغال ليلا ونهارا كثير الصلاة والتلاوة حسن الخلق كثير التودد، لايحسد ولا يحقد، مات في ثالث عشر شهر رجب سنة ٧٥١، وكانت جنازته حافلة جدا. انظر الدرر الكاملة (١/٤٧٩) .

(٣) مدارج السالكين ٣/٣.

(٤) مفتاح دار السعادة (١/٢٨٩) دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، لا يوجد تاريخ ولا طبعة.

(٥) انظر: مدارج السالكين (١/١٠٠) بتصرف.

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/١٧٦).

سبحانه: ¼çRqàÎó„ Ÿw ÇïÈ šc qè•ÖÈ šÚöÈ ø/ ¼çY»s9ø— #Sr ß»Hq9$<ƒB$(qè%r â

á ÇïÈ šc qèJèƒ ¾íÌ'Î Nèr Éø)èB(1).

العلاقة بين العبودية والعبادة:

هناك من فرَّق بين العبودية والعبادة.

فقال: العبادة هي فعل المكلف على خلاف هوى نفسه تعظيماً لربه(2).

والعبودية الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود والصبر على المفقود(3).

أما الراغب الأصفهاني – رحمه الله - جعل مرتبة العبادة أعلى من العبودية حيث قال: "العبودية: إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل"(4).

وقيل العبودية: الرضا بما يفعله الرب، والعبادة: فعل ما يرضي الرب(5).

والصواب: أن العبودية تشمل كلا الأمرين: تشمل الرضا بما يفعله الرب والقيام بمراد المعبود.

ومنهم من جعل مراتب العبادة ثلاثاً كما ذكر ذلك الفخر الرازي(6) في تفسيره حيث قال:

الأولى: أن يعبد الله طمعاً في الثواب وخوفاً من العقاب وهي العبادة.

الثانية: أن يعبد الله لأجل أن يتشرف بعبادته والانتساب إليه بقبول تكاليفه.

---

(1) سورة الأنبياء، آية (٢٦ - ٢٧).

(2) التعريفات للجرجاني ص١٨٩.

(3) التعريفات ص١٩٠.

(4) مفردات ألفاظ القرآن (٣١٩/١) .

(5) تاج العروس للزبيدي (٤١٠/٢) وهذا تفسير الصوفية للعبادة، انظر التحرير والتنوير (١٨٠/١) .

(6) هو العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي البكري الطبرستاني الأصولي المفسر كبير الأذكياء والحكماء والمصنفين، ولد سنة أربعا وأربعين وخمسمائة، انتشرت تواليفه في بلاد الإسلام، وقد بدت منه في تواليفه بعض البلايا والعظائم والسحر والانحرافات عن السنة، مات يوم عيد الفطر سنة ست وستمائة. ينظر في: الكامل في التاريخ: (١٢٠/١٢) دار الفكر، ط٢، ١٤٠٥هـ، ومرآة الزمان: (٢٤٥/٨) وذيل الروضتين: ٦٨، عيون الأنباء (٣/ ٣٤ــ ٤٥) وفيات الأعيان لابن خلكان (٤/ ٢٤٨) سير أعلام النبلاء: (٥٠٠/٢١).

الثالثة: أن يعبد الله لكونه إلهاً خالقاً مستحقاً للعبادة وكونه عبداً له وهذه أعلى المقامات وهي المسمى بالعبودية[١].

قال ابن عاشور[٢]: " وما ادعاه الفخر في سقوط الدرجة الأولى ونزول مرتبتها، قد غلب عليه في اصطلاح غلاة الصوفية، وإلا فإن العبادة للطمع والخوف هي التي دعا إليها الإسلام في سائر إرشاده، وهي التي عليها جمهور المؤمنين، وهي غاية التكليف[٣].

تبين من كلام ابن عاشور: أن ما ادعاه الفخر الرازي مناقض لما جاء في كتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم - في معنى العبودية.

واتضح مما مضى من الفروق بين العبادة، والعبودية، أن مرتبة العبودية أعلى من العبادة عند الفخر ومن تبعه، بخلاف الراغب الذي جعل مرتبة العبادة أبلغ منها.

قال ابن عاشور في التحرير والتنوير: "كأنهم اصطلحوا على أن العبودية أبلغ من العبادة لما فيها من ياء النسب... التي يقصد منها المبالغة في الوصفية... وبعضهم خالف في هذه المسألة: فجعل العبادة مرتبة أعلى من العبودية حيث قال: العبودية: إظهار التذلل والعبادة أبلغ منها؛ لأنها غاية التذلل"[٤] .

أما شيخ الإسلام – رحمه الله- فهو يرى أن هذه الألفاظ مترادفة مؤداها واحد حيث قال: "العبادة، والطاعة، والاستقامة، ولزوم الصراط المستقيم، ونحو ذلك من الأسماء مقصودها واحد وهي أسماء لدين الله الذي أمر الله به ورسوله، فهو في نفسه واحد، لكن كل اسم يدل على صفة ليست هي الصفة التي يدل عليها الآخر، وتكون تلك الصفة هي

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي (١/ ٢٥٣ – ٢٥٤) بتصرف دار الفكر، ط الأولى ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

(٢) هو ولد محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، الشهير بالطاهر بن عاشور، بتونس في ١٢٩٦هـ، ١٨٩٢م، في أسرة علمية عريقة تمتد أصولها إلى بلاد الأندلس، تعلم بجامعة الزيتونة، وحفظ القرآن، وتعلم اللغة الفرنسية كان عالماً ذكيا، ومعلما، وشيخاً في جامع الزيتونة، توفي في ١٣ ـ رجب ـ ١٣٩٣هـ بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي. أنظر محمد الطاهر بن عاشور حياته وآثاره ـ دار ابن حزم ـ بيروت ط الأولى ١٩٩٦. محمد الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة الإسلامية، تحقيق ودراسة محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس بيروت الطبعة الأولى ١٩٩٩. محمد الطاهر بن عاشور، تفسير التحرير والتنوير، الشركة التونسية للتوزيع، تونس ١٩٧٤.

(٣) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (١/١٨١) .

(٤) المفردات للراغب الأصفهاني (١/٣١٩) وانظر التحرير والتنوير(١/١٨١) .

الأصل في اللفظ والصفات الأخرى اللازمة لها، أو دالة عليها بالتضمن، وكذا تختلف دلالة كل اسم بحسب الإطلاق والتقييد والتجريد والاقتران"[١].

يتضح مما سبق أن خلاف العلماء في العبادة، والعبودية خلاف لفظي، ومن فرَّق في ذلك تفريقا دقيقاً كغلاة الصوفية، والفخر الرازي، لا يعتبر بقولهم ولا يعتد به؛ لأنهم جعلوا العبادة مرتبة العوام من المؤمنين والعبودية للخواص والعبودة لخواص الخواص، وكل هذا التقسيم لا حجة لهم منه[٢].

(١) العبودية لابن تيمية ٧٤.

(٢) انظر الرسالة القشيرية في علم التصوف ١٩٧١، لأبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيري، تحقيق: معروف مصطفى زريق، علي عبد الحميد أبو الخير، دار الخير، بيروت، ط٣، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

المبحث الثاني

مرادفات العبودية والفروق بينها

المبحث الثاني

مرادفات العبودية والفروق بينها

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: بعد تعريفه للعبادة... "وكذلك حب الله، ورسوله r ، وخشية الله، والإنابة إليه، وإخلاص الدين له، والصبر لحكمه، والشكر لنعمه، والرضى بقضائه، والتوكل عليه، والرجاء لرحمته، والخوف من عذابه، وأمثال ذلك: هي من العبادة لله"(١).

ومن خلال استقراء نصوص القرآن يتبين أن للعبودية معاني كثيرة منها:

التوكـــل:

١ - التوكل تعريفه لغة: من مادة (وَكَلَ) "وكَلَ بالله وتوكَّل عليه، واتكل واستسلم له(٢) و"وكل إليه الأمر وَكْلاً ووكولاً: سلمه وتركه(٣).

واصطلاحاً: صدق اعتماد القلب على الله في استجلاب المصالح، ودفع المضار مـــن أمـــور الدنيا والآخرة كلها(٤).

منزلة التوكل:

للتوكل منزلة عظيمة ولعظم هذه المنزلة - منزلة التوكل - أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم به فقال:

7 ïöm ôB {qÒÿRw É ù)8á‹îî $âù MYäör NG9 MZï «$`B 7Jô‘ $Jîù â /١

@$bî «$’?ã @@qGù MB•ã #Œfù ÍDF{$’î Nèör$©r Nç; ëÿøCG'$ Nèa B#ã$u

.(٥)á ÇîÎÈ û,#ïqG38$=tã

---

(١) العبودية ٣٨، مجموع الفتاوى (١٠/١٤٩ – ١٥٠) .

(٢) لسان العرب لابن منظور (١١/٧٣٤) .

(٣) القاموس المحيط للفيروزآبادي، ١٣٨١.

(٤) جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم لابن رجب الحنبلي (٢/٤٩٧) تحقيـــق: شـــعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، ط السابعة، ١٤١٧هـــ - ١٩٩٧م.

(٥) آل عمران ١٥٩.

الشاهد: "فتوكل على الله"

وجه الدلالة: جاء في هذه الآية ما ينص صراحة على أمره عليه الصلاة والسلام بالتوكل.

٢/ قوله سبحانه آمراً عبده محمد **r** بالتوكـــل â . ‹‍ÿ7 Ÿ‍ö&™‍ìY» 7 Î‍bé‍BŒ %6 z=M6 `Ë

m»9Ï lw 'Îri qèd @è Ç»H‍q$$‍ bräö‍G‍ƒ Ñèdr 7ø Ï $Zøm‍r& ü ‍‍ƒ‍$ÅÏƒ‍ã (qè‍F‍Ï‍ ÑBé$g‍î ö%

.(١)á ÇÌÈ ‍É $GB ‍ïø Ïr &M‍ž2 q? ïøã qèd žvÏ

٣/ وقال عنه في سورة المزمـــل: â ‍6$‍ì ä‍$Ï‍ NÖ ‍‍Ïh' 7 r?;G@ Ïø ïöÏ‍ W‍‹ ÈÌÇ§ ‍<•$%J Ó‍Î‍É

.(٢)á ÇÌÈ W‍‹ Ïr ‍çõ‍ÏB$ù qèd žvÏ m»9Ï lw ‍É ‍ì‍óR$‍r

وكما أمر الله نبيه محمد **r** بهذه المترلة فقد جاء في القرآن ما يدل على أن الأنبياء لزموا عقد التوكل على الله فهذا:

١/ نوح عليه الصلاة والسلام يقول لقومه: â ‍ù‍è? '$ ‹‍ q? 2ž‍M& ù'‍ ìä‍ ‍(ƒB•ä‍Ñ r ‍ãŽ.!ä ä‍Ñ‍á(٣).

٢/ قال هود – عليه السلام – جاعلاً التوكل أساساً لنجاحه في حياته â ‍Ïö' ?q‍ç‍M& ã?'

.(٤)á $‍k‍ÉÏ¹ $ZÏ 8 ‍ï{ #ä qèd žvÏ ‍þ‍/‍Š `Ë $B Oã‍Ïr 'Îri ‹ $

٣/ وقال شعيب – عليه السلام -: â r‍B$?‍q‍ü‍Å‍þ Ïvž ‍$ ‹ ãøï ?q‍ç‍M& r‍Ïøï‍è‍Ï‍Š ‍ê á(٥).

٤/ وهكذا نادى إبراهيم – عليه السلام – بالتوكل فقال: â §/‍Z$ ãø 7 ?q‍ç‍Z$ r‍Ïø 7 &R‍ö‍Y$

.(٦)á ‍ç‍Å‍Ã‍ J‍$7 øÏr

---

(١) الرعد: ٣٠.

(٢) ٨، ٩.

(٣) يونس: ٧١.

(٤) هود: ٥٦.

(٥) هود ٨٨.

(٦) الممتحنة ٤.

٥/ وقال يعقوب – عليه السلام – [illegible][1].

٦/ وقال يوسف – عليه السلام – [illegible][2].

٧/ وقال الله عن موسى – عليه السلام – [illegible]

[illegible][3].

وكما أثنى على أنبيائه لتوكلهم عليه أثنى على عباده المؤمنين المتوكلين فقال: [illegible]

[illegible][4].

وخلاصة القول: يتضح من خلال هذه الآيات أن التوكل أساس في عبودية العبد لربه؛ لأن العبد يفعل الأسباب مع توكله على ربه فـ"التوكل مقرون بالعبادة"[5].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله –: إذا أطلق لفظ العبادة دخل فيها التوكل وإذا قرن أحدهما بالآخر كان للتوكل اسم يخصه[6].

وقال أيضاً: "وقد جمع الله بين العبادة والتوكل في عدة مواضع؛ لأن هذين يجمعان الدين كله... وقوله [illegible][7] هاتان الكلمتان هما الجامعتان اللتان للرب والعبد[8]، كما في الحديث الذي في صحيح مسلم عن أبي هريرة t عن النبي

---

(١) يوسف: ٦٦.

(٢) يوسف: ٦٧.

(٣) يونس ٧٥ – ٧٦.

(٤) الأنفال: ٢ – ٤.

(٥) العبودية: ٧٣.

(٦) مجموع الفتاوى (٨/٥٢٧) .

(٧) الفاتحة: ٥.

(٨) مجموع الفتاوى: (١٠/ ١٨) .

r أنه قال: "يقول الله سبحانه: (قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين نصفها لي ونصفها لعبدي، ولعبدي ما سأل،... يقول العبد "إياك نعبد وإياك نستعين" يقول الله فهذه الآية بيني وبين عبدي نصفين ولعبدي ما سأل، فالرب له نصف الثناء والخير، والعبد له نصف الدعاء والطلب وهاتان جامعتان ما للرب سبحانه وما للعبد، فإياك نعبد للرب وإياك نستعين للعبد)[١].

وقال ابن القيم – رحمه الله – :" فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل، ولكن تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها... فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية"[٢].

ويتضح مما سبق: أن الغاية التي خلق الله الخلق لأجلها هي العبادة قال سبحانه: á ÇÍÌÈ Ï&Ïr&ãøΒr& (#ρçÝÇΖtƒ ©!$# ¨βÎ) ©!$# 4’n?tã ×ΛÏm§‘ ÏΒ ÏM≈tƒÏ‰ôγßϑø9$# ∩⊇∪[٣].

أما التوكل فهو وسيلة يتوصل بها إلى تلك الغاية[٤].

٢ - الدعـــــاء:

تعريفة لغة: النداء تقول دعا الرجل دعوة ودعاء[٥].

في الشرع عرف بتعريفات:

منها الرغبة إلى الله، وقال الخطابي[٦]: ومعنى الدعاء استدعاء العبد ربه عز وجل العناية، واستمداده إياه المعونة، وحقيقته إظهار الافتقار إليه والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية، وفيه معنى الثناء على الله، وإضافة الجود والكرم إليه[٧].

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٩٠٤) .

(٢) مدارج السالكين (١٢٠/٢) .

(٣) سورة الذاريات: ٥٦.

(٤) انظر: طريق الهجرتين وباب السعادتين، ٢٥٦، دار الباز عباس أحمد الباز، لا توجد طبعة.

(٥) لسان العرب (٢٥٧/١٤ - ٢٥٨) .

(٦) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب الخطابي أبو سلمان ولد ٣١٩هـ وتوفي ٣٨٨هـ رحل في طلب الحديث وطوّف وألّف في فنون العلم من تصانيفه الحديث غريب الحديث معالم السنن وتفسير أسامي لرب معجم الأدباء ٦٣٤/١ طبقات المفسرين للداوودي ٢٩٥/١.

(٧) شأن الدعاء للخطابي، ص٤، دار الفكر بيروت، سوريا ط الأولى.

وقال ابن القيم –رحمه الله–: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره أو ينفعه[1].

قال سبحانه '‰ÎŠ$¢ã ôã brÇÉBGó„ šú ï‰Ï©Šb) ÞÎqãŠ$¨Bà6 š‘ A$%r â [2]á ÇÏÈ šú ï‰Ï©Šb) ÞÎqãŠ$¨Bà6 š‘ A$%r â ™<ßÞ¨Bà6 ©!$# Ÿw tbqè=ÏG»s)ßJø9$#.

دلت الآية الكريمة على أن الدعاء من العبادة، ولولا ذلك ما صح أن يقال: (إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين).

وجاء في الحديث عن النعمان بن بشير[3] – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: [الدعاء هو العبادة] فأخبر صلى الله عليه وسلم أن دعاء الله إنما هو عبادته ومسألته بالعمل له والطاعة .

عن أنس[4] – رضي الله عنه- قال: كان أكثر دعاء النبي صلى الله عليه وسلم [اللهم آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار][5].

وقرر العلماء أن الدعاء نوعان: دعاء مسألة، ودعاء عبادة.

١- فدعاء المسألة، هو: دعاء الطلب، أي طلب الحاجات، وهو عبادة إذا كان من العبد لربه؛ لأنه يتضمن الإفتقار إلى الله، واللجوء إليه، واعتقاد أنه قادر كريم واسع الفضل والرحمة[6].

---

(١) بدائع الفوائد، ٢/٣.

(٢) سورة غافر، آية ٦٠.

(٣) أخرجه الترمذي ٤٥٦/٥ النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي، ولد قبل وفاة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ بثمان سنين، وحفظ عنه بعض الأحاديث، توفي سنة ٦٤ للهجرة. ترجمته في: أنساب الأشراف ٢٤٤/١، المعرفة والتاريخ للفسوي ٣٨١/١، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٦٠/٤.

(٤) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم بن زيد الخزرجي النجاري الأنصاري، خادم رسول الله - e - أبو حمزة، قدم النبي – e - المدينة وهو ابن عشر سنين وأمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية أتت به لرسول الله - e - ليخدمه وليأخذ عنه العلم وتوفي سنة ٩٣ بالبصرة. ترجمته في طبقات بن سعد ١٧/٧، دار صادر، تاريخ الكبير للبخاري ٢٧/٢، دار الكتب العلمية، بيروت، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ليوسف بن عبد البر، تحقيق: علي محمد البجاوي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، دون تاريخ، ١٩٨/١، سير أعلام النبلاء ٣٩٥/٣، البداية والنهاية لابن كثير ٨٨/٩، مكتبة المعارف، ط٣، ١٣٩٠هـ.

(٥) أخرجه البخاري (٦/ ٣٤) برقم (٤٥٢٢)، ومسلم (٨ / ٦٨) برقم (٦٩٣٩).

(٦) شرح ثلاثة الأصول لفضيلة الشيخ محمد العثيمين – رحمه الله - ٥٦.

٢- وأما دعاء العبادة فهو أن يقصد العبد بعبادته ربه طلباً لثوابه وخوفاً مـــن عقابـــه؛ لأن العبادات يطلب بها ما يطلب بالدعاء في قولـــه â ’ÎŠ$6ä ôã brž߀Gó„ šú ïÎ‰$b) â™‹ bqè‡z Lè@g_ ’ÎÅ#Š ïÎ šú á(١) ويدخل فيه الذكر، قال - صلى الله عليه وسلم-: "خير الدعاء دعاء يوم عرفة "(٢).

أنواع دعاء العبد لربه:

دعاء العبد ربه إما طلب مثل قوله â d$‰R$9 Ç'Ž$Þ B$6ó G€Ÿ Lì ÇÏÈ á ومثل دعائه في آخر الصلاة: كالدعاء الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر به أصحابه فقال: إذا قـــام أحدكم في الصلاة فليستعذ بالله من أربع: من عذاب جهنم وعذاب القبر وفتنـــة المحيـــا، والممات، وفتنة المسيح الدجال"(٣)... ونوع من الدعاء ينهى عنه: كالاعتداء مثل: أن يسأل الرجل ما لا يصلح من خصائص الأنبياء وليس هو نبي ونحوه.

ومن الدعاء ما هو مباح: كطلب الفضول التي لا معصية فيها(٤).

وقال سبحانه â r(#Ï 7'9™ 9 ä6$Š “ ãÍ Óù ’ ÏÌ% ë ‹Å_ ã Š$oq!$#Ï ‡# Ï)#Ï Š$ã$È ...š Gó É€xç qç) ’ ‡(qZè ’ Î9 ç-9 ëÝ@ r%Ìn š c ÇÊÑÏÈ á(٥).

يتضح من خلال هذه الآية أن الله — عز وجل — يحب من عبده أن يسأله، ويرغب إليه؛ لأن في هذا إظهاراً لمرتبة العبودية، والفقر، والحاجة، واعترافاً بعز الربوبية وكمال غنى الرب تعالى، فحريّ من العبد أن يتذلل أمام خالقه لتحقيق المطلوب النافع ودفع الضار(٦).

---

(١) سورة غافر ٦٠.

(٢) أخرجه الترمذي في الجامع (١٨٤/٣) برقم (٢٨٣٧)، وقال: حسن صحيح .

(٣) أخرجه مسلم (٤١٢/١) برقم (٥٨٨) .

(٤) الزهد والورع والعبادة، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ص١٤٣، ١٤٤، مكتبة المنار، الزرقا، الأردن، تحقيق حماد سلامه إشراف محمد عويضة ط الأولى ١٤٠٧ — ١٩٨٧م.

(٥) سورة البقرة ١٨٦.

(٦) مدارج السالكين (١٠٢/٣) .

قال ابن القيم – رحمه الله -: وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا وعلى دفع ما يضاده، وعلى تكميله، وتيسير أسبابه[١].

وهو متحقق في قوله: á ÇîÈ Úú üëGóS , $fÎr ‰çèR , $fÎ â [٢] كما نقله ابن القيم عن شيخه ابن تيمية[٣] – رحمه الله -.

وفي هذه الآية: تنبيه على الأسباب الموجبة لإجابة الدعاء التي مدارها على الإيمان بالله، وتحقيقه، والانقياد لله امتثالاً لأمره، واجتناباً لنهيه... وفيه تنبيه على أن الإيمان بالله والاستجابة له، سبب إلى حصول العلم؛ لأن الرشد هو الهدى التام علماً وعملاً[٤].

فبهذا يتحقق أن الدعاء من أجل القربات، وأعظم الطاعات التي يتوسل بها إلى الله تعالى في تحقيق المطالب الدينية والدنيوية، ومن مظاهر العبودية الخضوع والإذلال والافتقار، والانكسار بين يديه عز وجل فهذا "أنجح للحاجة وأنجع للإجابة)[٥].

٣- الإنابة: لغة: تدور مادة (ن و ب) حول الرجوع، يقول ابن فارس: "النون والواو والباء " كلمة واحدة تدل على اعتياد مكان ورجوع إليه "[٦].

تقول أناب فلان إلى الشيء، رجع إليه مرة بعد أخرى، وإلى الله تاب ورجع[٧].

"والإنابة إلى الله تعالى: الرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل"[٨] .

---

(١) مدارج السالكين (١/٧٨) .

(٢) سورة الفاتحة، آية: ٥

(٣) المصدر السابق ١/٧٨.

(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن – للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ص٩٤، ٩٥، طبع ونشر وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية.

(٥) تفسير ابن كثير ١/٤٠، دار الريان، مؤسسة الكتب الثقافية ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٦) مقاييس اللغة (٥ / ٣٦٧).

هو أحمد بن فارس بن زكري الزهراوي، أبو الحسين، إمام اللغة المشهور، توفي سنة (٣٩٥)هـ وكان من الأئمة الأثبات. انظر مقدمة مقاييس اللغة من ص١، ٩.

(٧) المعجم الوسيط (٢/١٦٩) .

(٨) المفردات (نوب) (٩٢٥) .

وفي التنزيل العزيز: â * á ïø) ûüî•ïã [1] أي: رجوع القلب وانجذاب دواعيه لمراضي الله تعالى[2] من أمره، وقوله عز وجل: â (þçï&r ¼ã9 #qßîô&r ¼ã4 [3] أي: أقبلوا إليه بالتوبة وارجعوا إليه بالطاعة[4].

وقال ابن الأثير" يقال: أناب ينيب إنابة فهو منيب، إذا أقبل ورجع، وفي حديث الدعاء ((وإليك أنبت)) [5] " .

اصطلاحاً: الإنابة: إخراج القلب من ظلمات الشبهات، وقيل: الإنابة الرجوع من الكل إلى من له الكل، وقيل: الإنابة الرجوع من الغفلة إلى الذكر، ومن الوحشة إلى الأنس[6].

وقال الكفوي: "الإنابة: الرجوع عن كل شيء إلى الله تعالى "[7]

وقال ابن القيم: "الإنابة: الإسراع إلى مرضاة الله، مع الرجوع إليه في كل وقت وإخلاص العمل له "[8].

والإنابة هي الرجوع إلى الله وانصراف دواعي القلب وجوانبه إليه. قال تعالى: â (þçï&r ¼ã4 #qßîô&r ¼ã9 [9]. ففي الآية أمر بالإنابة والرجوع لله بالتوبة، والطاعة والاستجابة لقبول الحق، من توحيد الله وإفراده بالألوهية، وإخلاص العبادة له[10]. قال ابن القيم

---

(١) سورة الروم: ٣١ .

(٢) تفسير السعدي، ٦٤١.

(٣) سورة الزمر: ٥٤ .

(٤) تفسير ابن جرير ١٧/١١.

(٥) النهاية في غريب الحديث والأثر (١٢٣/٥) .{وإليك أنبت} ضمن حديث طويل عن ابن عباس أخرجه البخاري (٢٣٢٨/٥) برقم (٥٩٥٨).

(٦) الكليات ٣٠٨.

(٧) المصدر السابق. والكفوي هو: أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، صاحب كتاب الكليات كان من قضاة الأحناف حيث تولاه في (كفة) بتركيا وبالقدس وببغداد، وتوفي باستانبول. ترجمته في: هداية العرافين (٢٢٩) وإيضاح المكنون (٣٨٠/٢) والأعلام للزركلي (٨٣/٢).

(٨) مدارج السالكين (٤٦٧/١) بتصرف .

(٩) سورة الزمر: ٥٤.

(١٠) انظر: تفسير ابن جرير (١٧/١١) بتصرف.

- رحمه الله -: "التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، فإن الدين استعانة وعبـــادة، فالتوكل هو الاستعانة والإنابة هي العبادة"[١].

والإنابة المرادة هنا هي: إنابة أوليائه، وهي إنابة لإلهيته إنابة عبودية ومحبة.

وهي تتضمن أربعة أمور: محبته، والخضوع له، والإقبال عليه والإعراض عما سواه. فلا يستحق اسم المنيب إلا من اجتمعت فيه هذه الأربع، وتفسير السلف لهذه اللفظة يـــدور على ذلك.

وفي اللفظة معنى الإسراع والرجوع والتقدم (والمنيب) إلى الله المسرع إلى مرضـــاته الراجع إليه كل وقت المتقدم إلى محابه[٢].

إذن يتبين من خلال ما سبق أن الإنابة نوع من أنواع العبادة؛ لأن الإنابة فيها معنى الإسراع والمبادرة إلى القيام بالطاعات واجتناب الآفات، كما أنها تتضمن المحبة والخـــضوع والإذلال لله سبحانه وتعالى وهذه معاني العبودية.

٤ - الخوف في اللغة: الفزع وضده الأمن[٣]

ورد في معجم مقاييس اللغة "الخاء والواو والفاء" أصل واحد يـــدل علـــى الـــذعر والفزع يقال: خفت الشيء خوفاً وخيفة[٤].

الخوف فزع واضطراب يعتري الإنسان بسبب توقع مكروه أو زوال مرهوب.

قال ابن تيمية – رحمه الله -: الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله[٥].

والخوف اصطلاحاً: توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة. وضـــده الأمـــن[٦]. وقيل: الخوف توقع حلول مكروه أو فوات محبوب[٧].

---

(١) مدارج السالكين (١١٣/٢) .

(٢) مدارج السالكين (٤٣٤/١) .

(٣) لسان العرب لابن منظور (٩٩/٩) .

(٤) معجم مقاييس اللغة (٢٣/٢) .

(٥) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٥١٤/١) .

(٦) المفردات (١٦١) والتعريفات للجرجاني (١٣٧).

(٧) التعريفات للجرجاني (١٣٧/١) .

وقيل: تألم القلب بسبب توقع مكروه في المستقبل[١] .

والخوف المراد هنا هو الخوف في العبودية: وهو عبادة قلبية، وانفعال إيماني، يحصل من المعرفة بجلال الله، وعظمته، وقوته، وسطوته وانتقامه وينشأ عنه استقامة وتقوى[٢].

والخوف ليس مقصوداً لذاته بل هو مقصود لغيره قصد الوسائل ولهذا يزول بزوال المخوف، فإن أهل الجنة لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

- وقد ورد الخوف في القرآن الكريم (بألفاظ متقاربة)[٣] منها:

١ - الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثره يكون عن علم بما يخشى منه[٤].

والخشية أخص من الخوف، وهو خوف مقرون بمعرفة[٥]، قال تعالى: Ó´ øt $JR)â

á (a»J=ãø#íŠ$6ä ôÏB @$ [٦].

٢ - الوجل: وهو: رجفان القلب وانصداعه لذكر من يخاف سلطانه وعقوبته[٧] أو لرؤيته

á Nåqèd-Ar ª $•Ïè #Œ) ûïï%Ÿ$šc qãBs3ø$JR)â [٨].

٣ - الرهبة: وهي الإمعان في الهروب من المكروه[٩] ومنها قوله: (qè$Ÿ2 NG)â

á šú üÏÏ»z $Z9 (qè%Ÿ2 r $Nd‘r $M‘ $YRqãBfr Ï%ö, ø$’Îšc qãè»¡ç [١٠].

---

(١) إحياء علوم الدين (١٥٢/٤) .

(٢) تحقيق العبودية بمعرفة الأسماء والصفات، فوز الكردي ص٣١٤، دار طيبة، ط الأولى ١٤٢١هـ.

(٣) دعوة التوحيد لهراس ٤٢.

(٤) المفردات (١٤٩) ومدارج السالكين (١ / ٥١٢) وتهذيب المدارج (١/ ٤٣٢) وانظر: التعريفات للجرجاني (١٣٣) .

(٥) سورة فاطر: ٢٨.

(٦) مدارج السالكين (٥١٣/١) .

(٧) مدارج السالكين (٥١٣/١) .

(٨) سورة الأنفال: ٢.

(٩) مدارج السالكين (٥١٢/١) .

(١٠) سورة الأنبياء (٩٠).

ومن المعلوم أن الخوف من الله تبارك وتعالى هو أعلى وأرقى أنواع الخوف - لا سيما- وأنه إحدى ركائز العبودية التي لا تتم العبودية ولا تتحقق إلا بها.

قال عز وجل â ùx?, qèdùrèq{ bãZèqäZ ïÜùBsûá[1].

فلا يصح إيمان العبد إلا بالخوف من الله، الخوف الذي يدفع العبد إلى القيام بعبودية الله كما قال ابن القيم – رحمه الله - :"الخوف علامة صحة الإيمان وترحله من القلب علامة ترحل الإيمان منه"[2].

وقال أيضاً: " الخوف عبودية القلب فلا تصلح إلا لله كالذل والمحبة والإنابة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب"[3].

يتبين مما مضى أن العبودية غاية والخوف وسيلة من الوسائل الموصلة إلى الغاية.

٥- **الرجاء: في اللغة: ضد اليأس**[4] وهو ظن يقتضي حصول ما فيه مسرة أو توقع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة[5]. فهو عكس الخوف، فإن لم يكن هناك أمارة فهو تمني، وإن كانت الأمارة ضعيفة فهو غرور[6].

والرجاء هو ارتياح لانتظار ما هو محبوب، ولكن ذلك الانتظار لابد له من سبب حاصل فإن لم يكن السبب معلوماً سمي: تمنياً .

أنواع الرجاء:

الرجاء ثلاثة أنواع: نوعان محمودان ونوع مذموم. فالمحمودان:

١/ رجاء الثواب من الله على الطاعة لمن عمل بها.

٢/ رجاء التائب من الله قبول توبته، وغفران ذنوبه التي تاب عنها.

---

(١) آل عمران: ١٧٥.

(٢) مدارج السالكين لابن القيم (١/٥١٥) .

(٣) طريق الهجرتين ٢٩٢.

(٤) مدارج السالكين (٢/٣٦) .

(٥) المفردات، للراغب (١/١٦١) .

(٦) إحياء علوم الدين (٤/١٣٩) .

وأما الثالث: فرجاء المفرط المتمادي في تفريطه، ومع ذلك يرجو رحمة الله بلا عمل فهذا هو الغرور، والتمني، والرجاء الكاذب[١].

¼qçGJô‘ bqã_ör Ù•¼ NÀ '#‹Åqæ¼DÔ‘ 4‹î šc qáÇ6ör šc qãÆ¼ƒ ûï¾Ÿ7 Í»9r¢éâ

r¢ãšc qæ¼ƒtr á¼ÿç/#‹ã šc qæ¼ƒtr[٢] فابتغاء الوسيلة: طلب القرب منه بالعبودية والمحبة، فهذه الآية ذكرت مقامات الإيمان الثلاثة: الحب، والخوف، والرجاء[٣].

والرجاء يتضمن الذل والخضوع، وهذا لا يكون إلا لله عز وجل وصرفه لغير الله شرك، والدليل قوله سبحانه: ßÎõçÆr $[sî» ¹ ¼KãÆ@Jè‹ù ¾ïÎ‘ ä$)Ï ¢qã_ör b¾. `Jùâ [٤].á¼Æn&¼ïÎ‘ íŠ$7ÈÎ

والرجاء يستلزم ثلاثة أمور:

أحدها - محبة ما يرجوه.

والثاني - خوفه من فواته.

الثالث - سعيه في تحصيله بحسب الإمكان، وأما رجاء لا يقارنه شيء من ذلك فهو من باب الأماني؛ لأن السائر على الطريق إذا خاف أسرع السير مخافة الفوات[٥].

كما قال سبحانه ¼íÍ‘ Ï¾M»f$«Î Oèd ûï¾Ÿ ÇÎÈ bqàÿÎ=B ¼íÍ‘ ¢ŠÎz ôÏB Nèd ûï¾Ÿ bÎâ ¼íÍ‘ Ï¾Å¡î#År ¼ãæèr ¢q?#ä $B bqèŠÎãâ ûï¾Ÿ ÇÎÈ šc qàÆÎõçÆ ¼íÍ‘ Oèd ûï¾Ÿ ÇÎÈ bqàßÎãâ ¼íÍ‘ 4‹î bqàÿ»™ $I; Nèr Ï¾Ÿ¢ø‹Ÿ2 bqãè»¡ç7 Í»9r¢éÇÎÈ bqãÅ°‘ ¼íÍ‘ 4‹î[٦].á ÇÎÈ bqà

دلت الآية على حال الخائفين من ربهم، خشية أن يكون قد صدر منهم تقصير في أي حق من حقوق الله أو حق العباد.

---

(١) انظر مدارج السالكين (٢/٣٦) .

(٢) سورة الإسراء :٥٧.

(٣) انظر: مدارج السالكين (٢/٣٥) بتصرف.

(٤) سورة الكهف: آية ١١٠.

(٥) الداء والدواء أو الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، ص٧٦.

(٦) سورة المؤمنون ٥٧ – ٦١.

٦ - المحبة: المحبة في اللغة: اسم للحب والوداد[١]

المحبة اصطلاحاً: قال ابن حجر – رحمه الله -: وحقيقة المحبة عند أهل المعرفة من المعلومات التي لا تحد وإنما يعرفها من قامت به وجداناً ولا يمكن التعبير عنها[٢]

ونحو هذا قال ابن القيم - رحمه الله -: لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة[٣].

والمحبة المطلوبة هنا التي لا تصلح إلا لله وحده ومتى أحب العبد بها غيره كان شركا لا يغفره الله، فهي محبة العبودية المستلزمة للذل والخضوع والتعظيم وكمال الطاعة وإيثاره على غيره[٤].

والمحبة: أصل كل دين سواء كان حقا أم باطلاً، والدين هو من الأعمال الظاهرة والباطنة، والمحبة والإرادة أصل لذلك[٥].

فأصل المحبة المحمودة التي أمر الله بها، وخلق خلقه لأجلها: هي ما في عبادته وحده لا شريك له، إذ العبادة متضمنة لغاية الحب مع غاية الذل[٦].

قال تعالى: ª! $ ö/qè ö9 öyór ª! $ ‘ ïqî?$ ©$bq7èOz bî@è ٍ[٧].

ففي الآية الكريمة جعل مغفرة الذنوب ثمرة للمحبة، فمحبة العبودية هي أشرف أنواع المحبة، وهي خالص حق الله على عباده[٨]، وذلك حينما تكون وفق الشرع المحمدي.

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٢٨٩/١) .

(٢) الفتح (١٠/ ٤٦٣) .

(٣) انظر مدارج السالكين (٩/٣).

(٤) طريق الهجرتين ٢٩٦.

(٥) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، لابن القيم، دار الهدى، ص٢٩٣، ٢٩٤.

(٦) انظر قاعدة في المحبة لابن تيمية ٦٩ تحقيق: فوَّاز أحمد زمرلى، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم، ط الأولى ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

(٧) سورة آل عمران ٣١.

(٨) روضة المحبين ونزهة المشتاقين، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان، ١٤١٥هـ، ص٦٨.

أما محبة الله تعالى للعبد فقد جاءت شواهد القرآن متظاهرة على ذلك:

قال تعالى: â ¨bÎ)$© ttä$9$=Ïtä r ûüÎ/º§qG9$=Ïtä ÷ÉÜFß ÜÚ áš[1].

قال تعالى: â $! ª ttä$9$=Ïtä ÁÉ9ÎÉ9Î ûüî á[2].

قال تعالى: â ¨bÎ)$© ttä$9$=Ïtä ûüÏÜÅ¡ø)ßJø9$ á[3].

ونبه على أنه لا يعذب من يحب؛ لأنه رد على من ادعى أنه حبيبه[4] بقوله:

â ö@è% ùNÎ=sù Nä3ç/ÉjyèãÉ /ä3Î/qçRäãÎ/ á[5].

وقد جاء في السنة ما يدل على لفظ المحبة قوله صلى الله عليه وسلم (إن الله إذا أحب عبداً ابتلاه)[6].

التلازم بين الخوف، والرجاء، والمحبة :

من المعلوم أن ركائز العبودية الصحيحة تقوم على الخوف والرجاء والمحبة فلا يصلح أن نعبد الله بالحب والخوف دون الرجاء أو بالخوف والرجاء دون المحبة أو بالرجاء والمحبة دون الخوف.

ولذلك يقول شيخ الإسلام – رحمه الله – إذا كانت المحبة أصل كل عمل ديني فالخوف والرجاء وغيرهما يستلزمان المحبة ويرجع إليها، فإن الراجي الطامع إنما يطمع

---

(١) سورة البقرة ٢٢٢.

(٢) سورة آل عمران ١٤٦.

(٣) سورة الممتحنة ٨.

(٤) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي ٣٤٨.

(٥) سورة المائدة ١٨.

(٦) المرض والكفارات، باب في ذكر مصافحة أهل المودة، ج١، حديث رقم (٢٥٤)، ص١٩٦، والحديث أخرجه النسائي في مسنده (١٣٩/٢) برقم (٥٦٠) موقوف عن ابن مسعود بسند رجاله ثقات، وأما المرفوع فهو ضعيف كما في الموضوعات لابن الجوزي (٢٠١/٣) وبه اليمان بن عدي وضاع .

وقد أخرجه هناد في الزهد (٤٤٤/١) برقم (٣٩٩) عن يحي بن عبيد الله عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً، وهذا إسناد ضعيف جداً فيه يحي بن عبيد الله ووالده ضعيفان .

فيما يحبه لا فيما يبغضه، والخائف يفر من الخوف لينال المحبوب قال سبحانه: 7 í»9rêâ

šc qè¾ƒtr¼çGJô‘ bqã_ör Ù•½ ¹¾ '#‹Åqø¾Ðgh‘ 4‹)šc qáÓ¾šc qã¾ƒ ûï¼$

á ÿç/#‹ã[1].

والعبودية الحقة تستلزم الجمع بين المحبة والخوف والرجاء فمن جمعها فهو مؤمن موحد[2].

٧-٨-٩- الرغبة والرهبة والخشوع:

الرغبة: رغب يرغب رغبة إذا حرص على الشيء وطمع فيه، والرغبة الضراعة والمسألة[3].

والرهبة: ممَّا عند الله من العقاب، وهي راجعة إلى معنى الخوف[4].

وهي الخوف المثمر للهرب من المخوف فهي خوف مقرون بعمل[5].

الخشوع: يتضمن معنيين:

أحدهما: التواضع والذل.

الثاني: السكون والطمأنينة.

وذلك مستلزم للين القلب المنافي للقسوة، فخشوع القلب يتضمن عبوديته لله وطمأنينته أيضاً؛ ولهذا كان الخشوع في الصلاة يتضمن هذا وهذا أي: التواضع والسكون[6].

والعبادة مبنية على أمرين عظيمين هما: المحبة والتعظيم الناتجان عن الرغبة والرهبة كما قال تعالى: â $Md‘r $Mî‘ $YRqã¾ƒr ÏN°ö,¾’îšc qãì»¡¢{q$Y2 ÏGÎâ[7].

فبالمحبة تكون الرغبة، وبالتعظيم تكون الرهبة والخوف.

---

(١) مجموع الفتاوى (١٠/٦١) .

(٢) المصدر السابق (١٠/٨١) .

(٣) معارج القبول (٢/٤٤٨) لسان العرب (١/ ٤٢٢) .

(٤) معارج القبول (٢/٤٤٨) .

(٥) شرح الأصول الثلاثة ٥٩.

(٦) الإيمان لابن تيمية ص٥٠، دار إحياء العلوم، بيروت. تحقيق: حسين يوسف الغزال، ط الأولى ١٤٠٤هـ .

(٧) سورة الأنبياء، آية ٩٠.

ولهذا كانت العبادة أوامر ونواهي: فالأوامر مبنية على الرغبة وطلب الوصـــول إلى الآخرة والنواهي مبنية على التعظيم والرهبة من هذا الأمر العظيم[١].

أما الخشوع: فهو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل ومحله القلب وثمرتـــه تظهر على الجوارح[٢].

والخضوع هو الخشوع والتذلل[٣].

قال سبحانه [illegible][٤]. أي متذللين فقد أخبر سبحانه أن المذكورين كانوا يعبدونه سبحانه رغباً ورهباً.

والدعاء في قوله "يدعوننا" يراد به العبادة، كما قال: [illegible]

[illegible][٥] ويعني بقوله (رغبا) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منـــه مـــن رحمتـــه وفضله[٦] (ورهبا) يعني رهبة منهم من عذابه وعقابه بتركهم عبادته وركوبهم معصيته[٧].

تعريف الخشية: الخشية خوف يشوبه إجلال وتعظيم للمخوف ولا تكون إلا عـــن علـــم ومعرفة ولذلك خصّ بها العلماء.

وهي أخص من الخوف فإن الخشية تكون من العالِميْن قـــال تعـــالى: [illegible][٨] فهو خوف مقرون بمعرفة وقال صلى الله عليه وسلم: (إني أتقـــاكم لله

---

(١) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ١٧.

(٢) انظر: مدارج السالكين، (١/٥٢١) .

(٣) معارج القبول (٢/ ٤٥١).

(٤) سورة الأنبياء، ٩٠.

(٥) سورة مريم: آية (٤٨ - ٤٩).

(٦) تفسير ابن جرير (٩/٨٠) .

(٧) المصدر السابق نفس الصفحة.

(٨) سورة فاطر، آية ٢٨.

وأشدكم له خشية) [١].

قال سهل بن عبد الله التستري[٢]: "وأصل كل خير في الدنيا والآخرة الخوف مـــن الله"[٣].

والخشية عبودية لله عز وجل فأمر بخشيته، وقد وردت آيات كثيرة في مدح عباده المـــؤمنين الخاشين له.

كما قال تعالى: [٤].

وقال تعالى: [٥].

وقال عز شأنه: [٦].

وقال جلَّ جلاله: [٧].

وقال سبحانه: [٨].

وقال تعالى: [٩].

---

(١) أخرجه مسلم (٢/٧٧٩) برقم (١١٠٨) .

(٢) هو سهل بن أبي حشمة الساعدي الأنصاري الأوسي ولد سنة ثلاث للهجرة، حفظ عن النبي - e - شيئاً مـــن العلم، مات أول خلافة معاوية. ترجمته في: أسد الغابة: (٢/ ٤٦٨) الجـــرح والتعـــديل: (٤/٢٠٠) الإصـــابة: (٢/٨٥).

(٣) الإيمان لابن تيمية، ص٤٢.

(٤) سورة البقرة، آية ١٥٠.

(٥) سورة المؤمنون، آية ٥٧.

(٦) سورة طه، الآيات ١ — ٣.

(٧) سورة يس، آية ١١.

(٨) سورة الزمر، آية ٢٣.

(٩) سورة لقمان، آية ٣٣.

فدلت هذه النصوص القرآنية وغيرها على أن الخشية من خصال العبودية لله رب العالمين فلابد من إخلاصها له وعدم خشية غيره.

١٠ - الإستعاذة:

هي الالتجاء إلى الله تعالى والاستعاذة: الالتجاء والاعتصام والتحرز، والعياذ يكون لرفع الشر، واللياذ يكون لطلب الخير.

تأويل قول القائل "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم". أعوذ، وألوذ وأعتصم وأستجير بالله وحده، وهذه المعاني من أعظم معاني العبودية.

حقيقة الاستعاذة:

الهرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه؛ ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً وملجأ، فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه، أو يهلكه إلى ربه ومالكه فما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله، والاعتصام به، والاطراح بين يدي الرب، والافتقار إليه والتذلل بين يديه أمر لا تحيط به العبارة[١] وهذا معنى كلام ابن القيم.

ومن معاني الاستعاذة:

الاستجارة إلى الشيء، على وجه الامتناع به من المكروه وحقيقتها: التقرب من شيء تخافه إلى من يعصمك منه، يقال: عذت بفلان واستعذت به، أي لجأت إليه، وهو عياذي أي ملجئي، الاستعاذة بالله هي الاعتصام به[٢].

قال تعالى: á çÈ È÷ÿ8Éé •Î êqã« Ïè â[٣].

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، تأليف سليمان بن عبد الوهاب، ٢١٠، وانظر بدائع الفوائد لابن القيم (٢/٢٠٠) .

(٢) ينظر تفسير ابن جرير الطبري (١/٧٦) وتفسير ابن كثير (١/١٣- ١٦) وتفسير القرطبي (١/١٢١) وتفسير البغوي (١/٤٦) وتفسير الثعالبي (١/٢١) وإبطال التنديد (٧٣) باعتناء سمير عدنان الماضي، ط دار المعالى، الدمام، وشرح التوحيد للفوزان (١٠٩) دار العاصمة بالرياض ط ١ ١٤٢٢هـ.

(٣) سورة الفلق: ١ .

وقال أيضاً: Ä #qÖ'qø$h© `Ï ÇÌÈ Ä $Y9$ï»9Î ÇÌÈ Ä $Y9$Ä?îB ÇÌÈ Ä $Y9$È•Ï ê qã& Ò è â

á ÇÏÈ Ä $Y9$ï þYÉ ø$S `Ï ÇÎÈ ÄZ $Y9$ír‰ƒ † Î â ëÖ'qã " ï‰GÇÍÈ Ä $Yƒø$[(١).

هذه السورة مشتملة على الاستعاذة بالله من الشيطان، الذي هو أصل الشرور كلها ومادتها الذي من فتنته وشره: أنه يوسوس في صدور الناس؛ لذا يجب على العبد أن يستعيذ بالله من شره؛ لأن ذلك عبادة لله تعالى، حينما يلتجأ إلى الله ويعتصم به من شر هذا الفاجر(٢).

١١ - تعريف الاستغاثة لغة:

في لسان العرب مادة (غوث) أغثني أي فرِّج عني.

اصطلاحاً: طلب الغوث وتفريج الكرب، وهي إزالة الشدة، وحقيقتها الهروب من الشيء

ويعتري الاستغاثة أربعة أحكام:

- الإباحة، وتكون في طلب الحوائج من الأحياء فيما يقدرون عليه ويدل عليها قوله: á ¾ífr‰ã ôÏ " ï‰G'?ã ¾ïíè‹© `Ï " ï‰GçŒ»óGÖ'$u â(٣).
- مندوبة، وهي الاستغاثة بالله تعالى â ùNà6 9 >$ f FÖ'$u Nà/‘ bqè=ÉG ó ø)(٤)
- واجبة، وذلك إذا ترتب على تركها هلاك الإنسان، كاستغاثة الغريق برجل يعرف السباحة.
- ممنوعة، وهي الاستغاثة في الأمور المعنوية بمن لا يملك القوة أو التأثير، سواء كان من الجن أم من الإنس أم من الملائكة أم من الأنبياء والرسل، كالاستغاثة في طلب الرزق أو إحياء المريض وهذه من الشرك(٥).

---

(١) سورة الناس: ١ - ٥.

(٢) انظر: تفسير السعدي: ٩٣٧ بتصرف.

(٣) سورة القصص آية ١٥ .

(٤) الأنفال آية ٩ .

(٥) إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد (٧٥)، والملخص في شرح التوحيد للفوزان (١١٣) .

والاستغاثة هي طلب الغوث منه تعالى من جلب خير، أو دفع شر[١] وهذا من أفضل الأعمال، وأكملها، وهو دأب الرسل وأتباعهم[٢]، ودليله قوله سبحانه: â bqè«Ec¿ó¡ÏÖ[٣].

فالعبد حينما يستغيث الله فهو يطلب منه الغوث، والعون، والنصر وكل هذه الأمور تتطلب من العبد التذلل لله، والانكسار بين يديه، لجلب الخير أو دفع الشر، وهذا هو معنى من معاني العبودية.

ومن معاني العبودية:

١٢ - الذبح:

الذبح في اللغة: قطع الحلقوم من باطن عند النصيل، وهو موضع الذبح من الحلق والذبح مصدر: ذَبَحَ، يقال: ذبحت الشاة، ويقال: ذبحه يذبحه ذبحاً[٤].

وفي الاصطلاح: إزهاق الروح بإراقة الدم على وجه مخصوص[٥].

ودليل كون الذبح عبادة قوله سبحانه: â † î$JBr " $<Cr ' ÝÝ ' ï¹ bj@â

أي أن يقع عبادة بأن يقصد به تعظيم المذبوح له والتذلل له، والتقرب إليه، فهذا لا يكون إلا لله على الوجه الذي شرعه الله تعالى وصرفه لغير الله شرك أكبر[٦]. وقوله سبحانه: â أمر الله نبيه في هذه الآية بأن يخصه بهذه العبادة، وهي عبادة الذبح؛ لأن في النحر تقرباً من الناحر، وإخراج للمال الذي جبلت النفوس على محبته والشح به[٧].

---

(١) معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد (٤٥٣/٢) .

(٢) شرح الأصول الثلاثة ٦٥.

(٣) سورة الأنفال آية ٩.

(٤) لسان العرب (٤٣/٢).

(٥) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين ٦٦.

(٦) المصدر السابق، ٦٦.

(٧) تفسير السعدي: ٩٣٦.

وفي صحيح مسلم عن علي – رضي الله عنه – قال: حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: "لعن الله من ذبح لغير الله"[١].

فمن قام بالإحسان في الذبح فقد حقق عبودية الله جل وعلا في هذه الشعيرة.

١٣ - النذر: وهو في اللغة: الإيجاب، وقيل: الوعد بخير أو بشر مع الشرط وبدونه وأصله يدل على التخويف، ومنه (الإنذار)، أي: إخبار فيه تخويف؛ و(النذير) هو: المخبر بالخبر المخيف[٢]. وفي الاصطلاح: إلزام الإنسان نفسه بشيء ما، أو طاعة لله غير واجبة مكروهة[٣].

ومن أحكام النذر ما يلي:

١ - ما يجب الوفاء به إذا كان نذر طاعة.

٢ - النذر في العبادات وكونه عبادة يجب الوفاء به ولا يجوز صرفه لغير الله وهذه هي قاعدة توحيد العبادة التي ذكرها الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – فأي فعل كان عباده فصرفه لغير الله شرك.

٣ - ما لا يجوز الوفاء به وهو نذر المعصية وهو أن ينذر ما ليس بيده، أو ينذر لغير الله[٤].

ودليل النذر قوله سبحانه وتعالى: ©$ c îù 9öR`B Nèöö<R r& p)ÿR`B OÇÐÿR& $Br â ...[٥] á ¼ç3-èf

قال ابن كثير – رحمه الله –: "يخبر تعالى بأنه عالم بجميع ما يفعله العاملون من الخيرات من النفقات والمنذورات وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين لذلك ابتغاء وجهه ورجاء موعوده"[٦].

---

(١) صحيح مسلم، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى ولعن فاعله، (١٥٦٧/٣) رقم (١٩٧٨) .

(٢) المجموع من كتب الشافعية للنووي (٣٨٤/٨) .

(٣) شرح ثلاثة الأصول لابن عثيمين: ٦٧.

(٤) انظر تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ص٢٠٨، ٢٠٩، والملخص في شرح كتاب التوحيد للفوزان ص١٠٦، ١٠٧.

(٥) سورة البقرة، آية ٢٧٠.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤٢١/١).

وقد امتدح الله القائمين بالنـــذر فقـــال: ¼ãPöqtƒ b¼çnöqtƒ $¨BÎ) bqè=ÏG÷ƒ$#r& ÍotÅzFy$# bqè=ÏG÷ƒ$#uqø9â[1] أي يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبـــة بأصـــل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر[2]. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعـــصي الله فلا يعصه)[3].

١٤ - الاستعانة:

الاستعانة طلب العون من مُعين على أمر مطلوب والمستعان هو الذي يـــستعان بـــه علـــى حصول المطلوب ودفع المكروه[4].

وقيل الاستعانة: هي طلب العون من الله على أداء العبادات وسائر الأمور[5] ففيها معنى الذل من العبد لربه، والاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع ودفع المضار، مع الثقـــة بـــه[6] في تحصيل ذلك، وهذا ما يسمى باستعانة التفويض، بمعنى أنك تعتمد على الله عز وجل وتتـــبرأ من حولك وقوتك، وهذا خاص بالله عز وجل[7] لقوله سبحانه وتعـــالى: $¨ΒÎ) ©!$# tβθèùÌ÷ètƒ $¨ΒÎ) ©!$# ìM≈tƒÏ‰ôγßϑø9$#[8] وتقديم المفعول (إياك) في الموضعين للقصر والتخصيص أي لا نعبد سواك ولا نستعين إلا بك[9].

ووجه تقديم العبادة على الاستعانة؛ لكون العبادة وسيلة للاستعانة وتقديم الوسائل ســـبب لتحصل المطالب؛ ولأن العبادة من حقوق الله والاستعانة من حقوق العبد المستعين؛ ولأجل

---

(١) سورة الإنسان، آية ٧.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/٥٨٣) .

(٣) صحيح البخاري، باب النذر في الطاعة، (٦/٢٤٦٣) رقم (٦٣١٨) .

(٤) انظر: الضوء المنير على التفسير لابن القيم ١/٢٤، ٣٥، ط الأولى، مكتبة دار السلام، جمعه: علي الصالمي.

(٥) انظر: تفسير أبي السعود (١/٢٦) البغوي (١/٤١) تنوير المقباس من تفسير ابن عباس تفسير الجلالين: ١.

(٦) تفسير السعدي: ٣٩.

(٧) تفسير الشيخ ابن عثيمين: (١/١٤) .

(٨) سورة الفاتحة: ٥.

(٩) روح المعاني (١/١٤٦) تفسير أبي السعود (١/٢٦) .

هذا جاء تنبيه العابد من أول شيء على أن المعبود بحق هو الله وحده[١].

والمعنى الاصطلاحي لا يخرج عن المعنى اللغوي.

وتنقسم الاستعانة إلى قسمين: استعانة بالله، واستعانة بغير الله.

الأول: الاستعانة بالله سبحانه وتعالى، وهي مطلوبة في كل شيء صغيراً أو كبيراً، مـــادي كقضاء الحوائج، ومعنوي مثل طلبه تفريج الكروب.

وقد جاء ذلك في قوله â ,$fÎ ,ÒÚöF{$ ÚÛ÷ÝàÁ[٢] وقال تعالى: â ÎÅ¡¡9$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒÏ‰÷ƒR‰9$#[٣] وتكون بالتوجه إلى الله بالدعاء، والتوجه إليه بالأعمال الصالحة .

أما الاستعانة بغير الله فإن كانت تطلب من قوى خفية، أو أموات، فهي ممنوعة، وقد تصل إلى درجة الشرك، كالاستعانة بالأموات او الجن.

أما الاستعانة بالإنس فقد اتفق العلماء على جوازها فيما يقدرون عليها من خير أو دفع شر لأنها من التعاون على البر والتقوى[٤].

١٥ - الطاعة:

لغة: نقيض الكره. طاعه، يطُوعُه، وطاوَعه، ورجل طيِّع، أي: طائع، قال ابن سيده: وطاع، يطاع، وأطاع، لان وانقاد[٥] .

ومنه قوله تعالى: â ÏNºtyJ¨Z9$# ÏM»oYÏB÷sßJø9$# ÏM»tƒÏ‰÷ƒR‰9$# ÏNºtyJ¨Z9$# ÏM»tƒÏ‰÷ƒR‰9$#[٦] أي سمحت وسهلت له نفسه قتـــل أخيه وقيل: انقادت في قتل أخيه[٧].

والطاعة: قبول الأمر بإذعان وانقياد[٨].

---

(١) ينظر ما سبق نفس الصفحة.

(٢) سورة الفاتحة أية ٤ .

(٣) سورة البقرة آية ٤٥ .

(٤) انظر: الضوء المنير على التفسير لابن القيم ١/٢٤، ٣٥.

(٥) لسان العرب (٨/٢٤٠) .

(٦) سورة المائدة: آية ٣٠.

(٧) لسان العرب (٨/٢٤١).

(٨) انظر تفسير القرطبي (٢/٤٢٩).

لذا أثنى الله على عباده حينما آمنوا به وبرسله وبسائر أركان الإيمان، قال سبحانه: `B#ä â

ŵ ¾ûÎ#ß¾ar ¾ïÎÇär ¾ïÎ3Í»=Br «‹ $Î `B#ä @ä bqäÃBs-3Ø$R ¾ïÎS `B ïøÎ) A‡R é$JÎ ÃqÎS

.(١) á ÇÍÈ Ž•ÃJ Ø$š• øÎ)r $Y/‘ 7R#•ÿâ $YèÛ&r $ZèÜ™ (qÃ%r ¾ûÎ#ß• `B‰m&šú ï/ äÌÿÇ

أي أطعنا الأوامر إطاعة إذعان وانقياد ومعتقدين أن كل أمر ونهي إنما هو لسعادة الدنيا والآخرة(٢).

فمن صفات المؤمنين السمع والطاعة لقوله تعالى: «‹ $’‹Î (þãŠ#Œ) ûüÏBs-3Ø$Aø‰ b¾. $JR Î â

©$ÆÜã `Br ÇÍÈ bqÃ?ÿØ3Ø$Ñd 7Í»9ré $ZèÛ&r $ZèÜ™ (qÃà/ b& ÑG•/ /ãé‹Ì ¾ûÎqÎ‘r

.(٣) á ÇÍÈ brãÍ$ÿØ$Ñd 7Í»9ré ïøÎ)cfr ©$ · ø‹r ¼ãqÎ‘r

وقوله تعالى: ãŽ•Ïø$ÑG9 bqãƒ b& #•B& ÿŒqÎ‘r ª! $ÓÓ‰ #Œ) þZBs-Ñ ŵr 9Bs-3Ø b¾. $Br â

.(٤) á ÇÏÈ $Z•ÎB Ww=Ê @Ê ‰)ù ¼ãqÎ‘r ©$ÆÈ èƒ `Br ÑÙÌ•B& ôÏ

فتبين مما مضى من هذه الآيات أن الطاعة بمعنى الانقياد والإذعان لله تعالى وهذه هي معاني العبودية إذ العبودية بمعنى الخضوع والذل وكلها موجودة في معنى الطاعة كما أن هذه الصفات موجودة في عباد الله الطائعين الذي ذلوا أنفسهم وانقادوا وأطاعوا الله ورسوله e أما ماعداهم فهم على غير طاعة صحيحة؛ ولذا ذمهم الله تعالى؛ لاتخاذهم غير طاعته، قال تعالى: â

.(٥) á ÇÍÈ br‰Ÿè (qÇ$Ÿ2 ÒÈ$) äIwà»d&

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.

(٢) التفسير المنير (٢/١٤٥) .

(٣) سورة النور: ٥١، ٥٢.

(٤) سورة الأحزاب: ٣٦ .

(٤) سورة سبأ: آية ٤٠ .

كما جاء النهي عن طاعة وعبادة الشيطان، قال سبحانه وتعـــالى: â ‹ c ‹ ?ÈzŽ ?ÈBrçt{ $$9ø Ü»`á[1].

١٦ - التوحيد:

التوحيد لغة: مصدر من وحد يوحد أي: جعل الشيء واحد، ويقال: وحِّد ربك توحيـــداً وأوحده، وأحده، والتوحيد: الإيمان بالله وحده لا شريك له[2].

والخلاصة: أن مادة (وحد) واشتقاقاتها في اللغة " تدور حول انفراد الشيء بذاته أو بصفاته أو بأفعاله وعدم وجود نظير له فيما هو واحد فيه وإذا عُدّي بالتضعيف فقيل: وحد الشيء توحيداً، كان معناه: إما جعله واحداً، أو اعتقده واحداً [3] .

التوحيد اصطلاحاً: عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية ـــ رحمه الله ـــ فقال: "التوحيـــد ضـــد الشرك"[4]. وعرفه ابن سعدي ـــ رحمه الله ـــ بشيء من التفصيل فيما يجب أن يفرد الله ـــ عز وجل ـــ به فلا شريك له بحال من الأحوال فقال :"هو علم العبد واعتقـــاده واعترافـــه بتفرد الرب بكل صفة كمال واعتقاد أنه لا شريك له ولا مثيل في كماله وأنه ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين وإفراده بالعبادة[5] .

أقسام التوحيد:

اتفق أهل السنة والجماعة على أن أقسام التوحيد ثلاثة وهي:

١ - توحيد الربوبية: وهو الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه وأنه المحيي والمميت النافع الضار، المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار الذي له الأمر كله له

---

(١) سورة يس: ٦٠ .

(٢) لسان العرب (٤٥٠/٣)، القاموس المحيط للفيروز آبادي ٤١٤ .

(٣) دعوة التوحيد، محمد خليل هراس ١١.

(٤) مجموع الفتاوى (٥٢/١).

(٥) سؤال وجواب في أهم المهمات لابن سعدي ٦١ مطبوع ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الشيخ السعدي جـــزء العقيدة الإسلامية، مركز صالح الثقافي عنيزة، المملكة العربية السعودية ١٤١١هـــ ـــ ١٩٩٠ م.

وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك[١]، وهو مستلزم لتوحيد الألوهية.

وهذا النوع من التوحيد هو الذي أقرّ به المشركون؛ لكنه لم يدخلهم في الإســـلام و لم يخرجهم من الشرك فالعباد مفطورون على الإقرار بالعبودية العامة لله تعالى[٢].

قال تعالى: `Br •»Á ùF{$r ì ðj¡ 9$a7îðƒ `B& ÇJ öF{$r ä$J¡ 9$`Ï NaÊêf `B @ê â

ª! $bqäqàŠ¡ ù •ÐF{$eñ‰ã `Br ÇÛ¼$Æ Ï MíJ¼$ß¹ràr ÏMíJ¼$`Ï ¢Û¼$ß¹ràr

.[٣]á ÇÌÈ bqàG? Ÿx ù& @à ù

وقوله تعالى: ⊣ bqäqà‹™ ÇÌÍÈ šc qß-è? ÒÉZà2 bÎ $gŠÏi `Br ÍÚ öF{$ÇJÏ @ê â

ÇÌÍÈ ÍÈà è¼$Ä ëè¼$> ‘r ÆÐj 9$ÏN°q»J¡ 9$> § `B @ê ÇÌÍÈ šc rãC‹? Ÿx ù& @ê

ž>ÿ¼a qèr äÓ« êà2 ÑNqã-B ¾íï‰‹Î . `B @ê ÇÌÍÈ šc qàG? Ÿx ù& @ê ⊣ šc qäqà‹™

.[٤]á ÇÌÍÈ šc rãsó ê4Ï™ù @ê ⊣ šc qäqà‹™ ÇÌÍÈ bqèè? ÒÉZä c Îïnøã â$gà Ÿwr

قال تعالى: bqàùsñ4Ï™ù ª! $£äqà‹9 Ñ8)=z ôB NGF¤™ ûÈr â

.[٥]á

٢- توحيد الألوهية: ويسمى توحيد العبادة، أو التوحيد العملي، وهو إفراد الله بالعبـــادة، فلا يدعى سواه، ولا يعبد غيره، ولا يستغاث، ولا ينذر، ولا يذبح، إلا لله وحـــده لا شريك له[٦]. وهو متضمن لتوحيد الربوبية، قـــال تعـــالى: 'åÝ¡ 'îX ¹ bÎ @ê â

---

(١) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ٣٣ المكتـــب الإسلامي ط ٨، ١٤٠٩هـــ، ١٩٨٩م

(٢) انظر شرح العقيدة الطحاوية (١/٢٦ - ٢٥).

(٣) سورة يونس: ٣١.

(٤) سورة المؤمنون: ٨٤ ، ٨٩

(٥) سورة الزخرف: ٨٧.

(٦) انظر مدارج السالكين (١/٢٥).

ûüÍÍóqßÃï&ßr ÑëBé7º‹Îr ¼ç9 7ƒÎŸ ẅ ÇïÈ ûüï»è¤ßÉ‘ + † Î$JBr "$‹Ær

á ÇïÌÈ[1].

وهذا التوحيد هو الذي حصلت فيه الخصومة بين الرسل وأقوامهم، فلم يقرّ به المشركون وبه افترق الناس إلى فريقين، فريق المؤمنين الموحدين وفريق الكفار المشركين[2].

وخلاصة القول هنا:

تبين أن من معاني العبودية التوحيد، والمراد هنا: هو توحيد العبادة فالعبودية معناها الخضوع، والتذلل كذلك من توحيد الألوهية، فهو مستسلم منقاد لله رب العالمين لاشريك له.

٣- توحيد الأسماء والصفات:

هو الإقرار بأن الله بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه الحي القيوم، الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، له المشيئة النافذة، والحكمة البالغة وأنه سميع بصير، رؤوف رحيم على العرش استوى، وعلى الملك احتوى، وأنه الملك، القدوس، السلام، المؤمن المهيمن، العزيز الجبار، المتكبر، سبحان الله عما يشركون، إلى غير ذلك من الأسماء الحسنى، والصفات العلى[3].

وهذا النوع لا يكفي في حصول الإسلام، بل لابد مع ذلك من الإتيان بلازمه من توحيد الربوبية والألوهية.

وفي هذا القسم كثر النزاع بين أهل القبلة، وافترق الناس فيه إلى فرق حادت كلها عن الطريق المستقيم، إلا ما كان عليه محمد e وصحابته - رضي الله عنهم - وهي الفرقة الناجية، وهم أهل السنة والجماعة[4].

---

(١) سورة الأنعام ١٦٢- ١٦٣ .

(٢) تيسير العزيز الحميد ٣٦.

(٣) تيسير العزيز الحميد ٣٤، ٣٥.

(٤) انظر شرح العقيدة الواسطية (٢١/١) ومابعدها، فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (٢٠/١) جمع وترتيب أحمد الدويش، دار أولي النهى، ط الأولى من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.

١٧ - الدين:

قال أحمد بن فارس*: "الدال، والياء، والنون، أصل واحد، ترجع فروعه كلها وهو جنس من الانقياد والذل "[١].

" والدين والطاعة، وهو أصل المعنى وقد دنته ودنت له، أي: أطعته "[٢].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : والدين يتضمن الخضوع والذل يقال دنته فدان أي: ذللته فذل، ويقال: يدين الله ويدين لله، أي: يعبد الله ويطيعه ويخضع له، فدين الله عبادته وطاعته والخضوع له " [٣]. وتأتي الكلمة بمعنى القهر والاستعلاء والغلبة. ومنه قول النبي – صلى الله عليه سلم – (الكيس من دان نفسه) [٤]. أي قهر نفسه وذللها .

ومنه سمى الله الديان، قال بن منظور*: " الديان: من أسماء الله – عز وجل – معناه: الحكم القاضي، والديان القهار، وقد ذكر الزبيدي* عدة معان لكلمة الدين في اللغة، منها: الجزاء، والمكافأة، والإسلام، والعادة والشأن، والعبادة، والطاعة، والذل، والانقياد والحساب، والقهر والغلبة، والاستعلاء، والسلطان، والملك، والحكم، والسيرة والتوحيد والدين الورع، والمعصية، والإكراه، والحال، القضاء[٥].

(*) سبقت ترجمته ص٣٠.

(١) معجم مقاييس اللغة (٢ /٣١٩) .

(٢) تاج العروس للزبيدي (٢٠٨/٩).

(٣) مجموع الفتاوى (٤٣/١) العبودية ٣٨، تاج العروس (٤٠٩/٢) .

(٤) أخرجه أحمد (١٢٤/٤)، وأخرجه الترمذي برقم (٢٤٩٥)، وأخرجه ابن ماجه رقم (٤٤٠١) من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه، والحديث ضعيف فيه أبو بكر بن أبي مريم، كان صالحاً لكنه ضعيف الحديث.

الكيس: العاقل المتبصر في الأمور، الناظر في العواقب .

دان نفسه: أي حاسبها وأذلها واستعبدها وقهرها حتى صارت مطيعة منقادة.

(*) ابن منظور محمد بن مكرم القاضي جمال الدين المصري كان فاضلاً لبناً إماماً في اللغة والأدب وغيرهما توفي سنة ٧١١هـ، انظر مقدمة مختار الأغاني تحت إشراف زهير الشاويش، المكتبة الإسلامي، بيروت، ط الأولى، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

(*) الزبيدي محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق ينتهي نسبه إلى أحمد بن عيسى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب كان فقيهاً محدثا لغوياً رحل في طلب العلم في بلده زبيد ثم رحل إلى الهند وإلى مصر وإلى البلاد الإسلامية قاطبة ولد سنة ١١٤٥هـ وتوفي ١٢٠٥هـ مقدمة تاج العروس ص

(٥) تاج العروس (٢٠٨/٩).

وتطلق كلمة الدين على مايتدين به الرجل، ومنه: دان بالإسلام ديناً وتدين به: أي تعبد به، واتخذه ديناً[١].

قال سبحانه: â [٢] .

قال شيخ الإسلام: - رحمه الله – " ودين الإسلام مبني على أصلين: أن نعبد الله وحده لاشريك له، وأن نعبده بما شرع من الدين، وهو ما أمرت به الرسل أمر أيجاب، أو أمر استحباب، فيعبد في كل زمان بما أمر به في ذلك الزمان[٣] .

عرفة الدكتور محمد عبد الله دراز: بأنه ما شرعه الله على لسان نبيه من الأحكام وسمي ديناً لأننا ندين به، وننقاد له[٤] .

وخلاصة القول هنا:

أن الدين بمعنى العبادة، والطاعة، والذل، والانقياد .... الخ، وهي أيضاً معان للعبودية فالدين والعبادة والعبودية تدور حول هذه المعاني .

ولذلك لا يقبل من العبد إلا العبودية الصحيحة، عبودية الدين الإسلامي، قال تعالى: `Br â

[٥].

١٨ - **ومن معاني العبودية العبد بمعنى المملوك** فالإنسان مربوب لبارئه أي هو عبد مملوك للخالق مسخر منقاد ومقهور[٦]، لقوله تعالى: â [٧]، وقوله تعالى: â

[٨].

فشرف العبد وقيمته في الدنيا والآخرة هو في عبوديته لله تعالى.

---

(١) تاج العروس (٢٠٨/٩) لسان العرب (١٧٠/١٣).

(٢) سورة آل عمران: ١٩ .

(٣) مجموع الفتاوى (١٨٩/١) .

(٤) الدين: ٢٨ مطبعة الحرية، بيروت ـــ ط ٣ ـــ ١٣٩٤ هـــ، ١٩٧٤ م.

(٥) سورة آل عمران: ٨٥.

(٦) مختار الصحاح للرازي ١٩٨، لسان العرب (٢٧٠/٣) القاموس المحيط ٣٧٨.

(٧) سورة البقرة: ١٧٨.

(٨) سورة البقرة: ٢٢١ .

الفصل الثاني

أنواع العبودية

وتحته ثلاثة مباحث:

المبحث الأول

أنواع العبودية من حيث الأحكام التكليفية

وتحته خمسة مطالب:

المبحث الأول

أنواع العبودية من حيث الأحكام التكليفية

المطلب الأول

العبودية بالواجبات

قبل أن نعرّف الواجب نعرّف بالأحكام التكليفية:

الأحكام: جمع حُكْم[١]، والحكم: خطاب الشرع المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير[٢].

قال ابن فارس*: (الحاء والكاف والميم) أصل واحد، وهو المنع من الظلم وسميت حكمة الدابة أنها تمنعها، وأحكمت السفيه، إذا أخذت على يديه[٣].

التكليف لغة: الأمر بما يشق عليك[٤].

وهو في الشريعة: الخطاب بأمر أو نهي[٥].

فالعباد المتقون هم من يتعبَّد الله بالأحكام التكليفية، ويقيمها، ويؤديها خير قيام كل هذا لينال ثواب الله تبارك وتعالى.

قال سبحانه وتعالى: ŵv ÇÈÉ ûüÏ»è‚ßÉ‘ ⊣ † Î$JBr “$<tƒr ’ÅÝ©r ’ÎX ¹ bÎ@ê â ÏŸ7 ƒÎŸ á ¼ç9[٦].

قال ابن القيم – رحمه الله -: والأحكام التي للعبودية خمسة: "واجب، ومستحب وحرام، ومكروه، ومباح"[٧].

---

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي ١٤١٥.

(٢) المصدر السابق (٢٤٧/١)، وأصول التشريع الإسلامي، محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة ط الأولى ١٣٠٣هـ .

(*) سبق ترجمته ص٣٠.

(٣) معجم مقاييس اللغة (٩١/٢).

(٤) المصدر السابق، ١٠٩٩.

(٥) شرح مختصر الروضة، تأليف نجم الدين أبي الربيع سليمان بن عبد القوي الطوفي، ت٧١٦هـ، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة ١٧٦/١.

(٦) سورة الأنعام: الآيات ١٦٢ – ١٦٣.

(٧) مدارج السالكين لابن القيم (١٠٩/١) دار الكتاب العربي ١٩٧٢ – ١٣٩٢هـ.

تعريف الواجب:

لغة: من وَجَبَ يَجِبُ وُجوباً: لَزِم وأوجْبَهَ ووجَّبَه[١].

الواجب عند الأصوليين:

مايذم تاركه شرعاً على بعض الوجوه [٢] .

عبودية الله بالواجبات:

أداء الواجبات تتحقق بطاعة الله بفعل المأمور وترك المحظور، وذلك هو حقيقة الإسلام بدليل معنى الإسلام، فهو الاستسلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع[٣].

إن العبد المؤمن الذي عرف معنى عبودية الله وقام بها وفق ما جاء في الكتاب والسنة ليدرك تمام الإدراك أنه لا يحق له بحال من الأحوال أن يتنحى عن نصوص الوحيين في عبادته لله تبارك وتعالى، فهو سبحانه قد أمر عبده بأوامر "فعبوديته في الأمر امتثاله إخلاصاً لله واقتداء برسول الله r "[٤].

وهو بهذه الحال سيرسم لنفسه المنهج السليم في فعل العبادات، وذلك بالاستقامة في فعلها على الطريق المعتدل الذي ليس فيه إفراط ولا تفريط حسب الشرع ولذلك يقول الله في كتابه: á ¢qóÕ? Ÿwr 7èB >$? `Br NèBé$J. NÉ7$â [٥].

والطغيان: مجاوزة الحد بالتشدد والتنطع[٦].

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي، ١٨٠.

(٢) المحصول في أصول الفقه، تأليف القاضي أبو بكر بن العربي المعافري المالكي (١/١١٨) دار البيارق عمان ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ط الأولى، تحقيق حسن علي البدري وسعيد فودة.

(٣) تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – المكتب الإسلامي، ص٤٧.

(٤) الفوائد: ١٤٦، ١٤٧.

(٥) سورة هود آية: ١١٢.

(٦) عقيدة التوحيد وبيان ما يضادها من الشرك الأكبر والأصغر والتعطيل والبدع لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان – حفظه الله – ٥٤ دار القاسم بتصرف.

وسيحقق في أدائه للواجبات التي أمره الله بها ركائز العبودية الصحيحة وهي الحب والخوف والرجاء[1].

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه -: قال رسول الله صلى الله (وما تقرب إليّ عبدي بشيء أحب إليّ مما افترضته عليه)[2].

ذكر في هذا الحديث أهمية المبادرة إلى أداء الفرائض الواجبة "وأخبر أن أداء فرائضه أحب ما تقرب إليه المتقربون"[3].

(١) المصدر السابق .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه (٥/٢٣٨٥) برقم (٦١٣٧) تحقيق مصطفى ديب البغا، ط الثالثة، ١٤٠٧هـ دار بن كثير واليمامة، بيروت لبنان .

(٣) الجواب الكافي، لابن القيم ٢٦٧.

المطلب الثاني

العبودية بالمستحبات

المندوب لغة: مأخوذ من الندب، وهو الدعاء إلى أمر مهم[١]، أو الدعاء إلى الفعل[٢].

في الشرع: ما يثاب على فعله ولا يعاقب على تركه[٣].

قال الآمدي[٤]: المندوب هو: المطلوب فعله شرعا من غيرذم على تركه مطلقا، وقال القرافي[٥]: هو ما رجح فعله على تركه شرعاً من غير ذم والأقوال الثلاثة متقاربة.

والمستحب، أو السنة من المأمورات التي أمر الله العبد بالقيام بها لقوله سبحانه: $Br â

á ¥qßFR$i ç¥ã tã9kX $Br çräã ù ãqÏ9$ã9?#ä[٦]

---

(١) انظر معجم مقاييس اللغة، لابن فارس (٤١٣/٥) دار الجيل، تحقيق: عبد السلام هارون، لا يوجد طبعة ولا نشر وانظر الإحكام في أصول الأحكام (١١٩/١) .

(٢) انظر شرح مختصر الروضة (٣٥٣/١) .

(٣) شرح الورقات في أصول الفقه، بقلم عبد الله الفوزان، تقديم أحمد عبد الله بن حميد، دار المسلم للنشر والتوزيع ط السابعة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، ص٣٦.

(٤) شرح مختصر الروضة (٣٥٤/١). والإحكام في أصول الأحكام (١١٩/١) .

الأمدي هو: علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي (وفي الأعلام {التغلبي} وهو وهم)، أبو الحسن، سيف الدين الآمدي، ولد بآمد من ديار بكر، أصولي باحث، كان حنبلياً ثم تحول إلى المذهب الشافعي، قدم بغداد وقرأ بها القراءات، صحب أبا القاسم بن فضلان الشافعي وبرع في علم الخلاف، متفنن في علم أصول الدين وأصول الفقه والفلسفة والعقليات، شهد له العز بن عبد السلام بالبراعة، دخل الديار المصرية وتصدر للإقراء وأعاد بدرس الشافعي وتخرج به جماعة، حسده بعض الفقهاء ونسبوه إلى فساد العقيدة والتعطيل ومذهب الفلاسفة، فخرج منها إلى البلاد الشامية، وتوفي بدمشق. من تصانيفه: الإحكام في أصول الأحكام وأبكار الأفكار في علم الكلام، ولباب الألباب .

الأعلام للزركلي (١٣٥/٥) وطبقات الشافعية للسبكي (١٢٩/٥ – ١٣٠) .

(٥) القرافي: هو أحمد بن محمد بن عماد بن علي، الشهاب أبو العباس القرافي المصري ثم القدسي الشافعي ولد سنة ست وخمسين وسبعمائة، له مصنفات كثيرة منها: التبيان في تفسير غريب القرآن، توفي سنة خمس عشرة وثمانمائة. له ترجمة في أنباء الغمر للحافظ بن حجر (٧/٨) والضوء اللامع للشحاوي (١٥٧/٢) وطبقات المفسرين للداودي (٨١ /١) .

(٦) سورة الحشر، آية ٧.

فالعمل الصالح هو الإحسان، وهو فعل الحسنات، والحسنات هي ما أحبه الله ورسوله وهو ما أمر به أمر إيجاب أو استحباب[١].

"وقد أخبر الله سبحانه أنه يحب المتقين، والمحسنين، والصابرين ويحب التوابين ويحب المتطهرين، بل هو يحب فعل ما أمر به من واجب أو مستحب"[٢]. كما في الحديث الصحيح: (لا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به) [٣].

ذكر في هذا الحديث:

الدرجة الثانية: وهم الذين يتقربون إلى الله بعد الفرائض بالاجتهاد في نوافل الطاعات، والمتقربون بالنوافل هم السابقون بالخيرات المذكورون في قوله تعالى: 7Ï$™ Nèßr â á ç÷ï 6 [٤].

فعبوديته سبحانه بالمستحبات تكون باتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وشريعته باطناً وظاهراً وهي موجب محبة الله[٥].

---

(١) العبودية لابن تيمية ص٥١.

(٢) العبودية لابن تيمية ١٣٤.

(٣) أخرجه البخاري فتح الباري (٣٤١/١١) برقم (٦٥٠٢) تحقيق بن باز، نشر الرئاسة العامة للبحوث .

(٤) سورة فاطر ٣٢.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (٨٢/١٠) .

المطلب الثالث

العبودية بالابتعاد عن المحرمات

المحرم لغة: ضد الحلال.

اصطلاحاً: ما ذم شرعاً فاعله مطلقا[١].

قال ابن القيم: - رحمه الله – "... فعبوديته في النهي اجتنابه خوفا من الله وإجلالا ومحبة له"[٢]، قال تعالى: Nà6 uÅ_ßqr ßâ?$«ÍT ßâYã ö/3ÇçÇ¥ã bö]Ïe$B •Í$6Ÿ2 {qçGÏ¿B bÎ â

á $VÏÌ. WzßB[٣].

فمن اجتنب الكبائر التي وعد الله مجتنبها تكفير ما عداها من سيئاته، وجد الله لما وعده من وعدٍ منجزاً وعلى الوفاء له ثابتاً...)[٤].

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم: "اجتنبوا السبع الموبقات "[٥] وذكرها في الحديث يدل على أهمية اجتناب المنهيات، والمهلكات والاجتناب امتثال، والامتثال عبادة لله عز وجل.

وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "ألا أنبئكم بأكبر الكبائر قلنا: بلى يا رسول الله؛ فقال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين"[٦].

قال شيخ الإسلام: – رحمه الله –

وكمال الدين هو أداء الواجبات، وترك المحرمات، والفعل والترك أصلهما الحب والبغض، (فإذا ترك مأموراً أو فعل محظوراً فإنما هو نقص الإيمان) الذي هو التصديق وحب

---

(١) شرح مختصر الروضة (٣٥٩/١) .

(٢) الفوائد، ١٤٦، ١٤٧.

(٣) سورة النساء: آية ٣١.

(٤) تفسير ابن جرير (٤٦/٤) .

(٥) أخرجه البخاري (١٠١٨/٣) برقم (٢٦١٥). ومسلم (٩٢/١) برقم (٨٩).

(٦) صحيح البخاري، باب ماقيل في شهادة الزور، (٣/ ٩٣٩) رقم (٢٥١١) .
صحيح مسلم، باب بيان الكبائر وأكبرها، (٩١/١) رقم (٨٧).

ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله[1].

وقد بين الله ضرورة اجتناب المحرمات، وأخبر أن تركها طريق للتقوى التي هي سبيل النجاة.

فقال سبحانه: [illegible] [2].

فاجتناب ما نهى الله عنه هو: صراط الله الواجب إتباعه والتقرب إليه بتـــرك هـــذه المحرمات عبودية كاملة لله تعالى.

---

(١) قاعدة في المحبة لشيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ت ٧٢٨هـــ تحقيق فواز أحمـــد زمـــرلي، المكتـــب الإسلامي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان ط الأولى ١٤٢٠هـــ - ١٩٩٩م، ص١٧٤.

(٢) الأنعام ١٥١ – ١٥٣.

المطلب الرابع

العبودية بالابتعاد عن المكروهات

المكروه في اللغة: مصدر كره، كرهت الشيء كراهية، وكرها فهو كريه ومكروه[١].

وفي الشرع: كل منهي لا لوم على فعله[٢].

والمكروه يطلق ويراد به الحرام[٣]، وهو غالب اطلاقات المتقدمين كالإمام أحمد والشافعي - رحمهما الله - حيث يعبرون عن الحرام بلفظ الكراهة تورعا، وحذراً من الوقوع في النهي عن القول هذا حلال وهذا حرام[٤] لقوله تعالى: ﴿ ﴾ [٥].

وقد ورد في القرآن عبارات تدل على أن معنى الكراهة الترك، وقد يكون المتروك محموداً، وقد يكون مذموماً.

فأما الكره المذموم فهو: الوارد في قوله سبحانه: ﴿ ﴾ [٦].

فهذا الكره مذموم؛ لأن مصدره الشح[٧].

أما الكره المحمود فهو المذكور في قوله تعالى: ﴿ ﴾ [٨].

---

(١) مختار الصحاح للرازي ٢٦٩.

(٢) المَنْخُول في تعليقات الأصول لمحمد الغزالي أبو حامد (١٣٧/١) دار الفكر، دمشق ١٤٠٠هـ ط الثانية تحقيق محمد حسن هيتو .

(٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١٢٢/١) .

(٤) شرح الورقات في أصول الفقه ٤٣.

(٥) سورة النحل ١١٦.

(٦) سورة التوبة آية ٨١.

(٧) انظر: فتح القدير (٣٨٨/٢) .

(٨) سورة الحجرات، آية ٧.

وغير ذلك من الآيات.

كما ورد في الأحاديث النبوية عبارات تدل على الكراهة.

فعن المغيرة بن شعبة[١] أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات، ووأد البنات، ومنع وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال وإضاعة المال) [٢].

وأما الكراهة الإصطلاحية فقد جاءت في حديث أنس – رضي الله عنه – أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى نخامة في القبلة فحكّها بيده ورؤي منه كراهية أو رؤي كراهيته لذلك وشدته عليه وقال (إن أحدكم إذا قام في صلاة فإنما يناجي ربه بينه وبين قبلته فلا يبزقنّ في قبلته ولكن عن يساره أو تحت قدمه) [٣] ثم أخذ طرف ردائه فبزق فيه ورد بعضه على بعض قال أو يفعل هكذا.

وفسرت المكروهات بالمشتبهات كما في قوله عليه الصلاة والسلام (ومن وقع في الشبهات فقد وقع في الحرام)[٤].

ففيه إرشاد إلى البعد عن ذرائع الحرام وإن كانت غير محرمة، فإنه يخاف من الوقوع فيها الوقوع فيه، فمن احتاط لنفسه لا يقرب الشبهات لئلا يدخل في المعاصي"[٥].

والمشتبه مثل أكل بعض ما اختلف في حله أو تحريمه، إما من الأعيان كالخيل والبغال، والحمير، والضب، وشرب ما اختلف في تحريمه، من الأنبذة التي يسكر كثيرها ولبس ما اختلف في إباحة لبسه من جلود السباع ونحوها[٦].

---

(١) المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود الثقفي أبو عبد الله، أسلم عام الخندق وقدم مهاجراً إلى المدينة وأول مشاهده عزوة الحديبية، وكان من دهاة العرب وأمرائهم وقوادهم، وتوفي سنة ٥٠ من الهجرة في الكوفة. ترجمته في: طبقات ابن سعد: (٢٨٤/٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (٧/٤) سير أعلام النبلاء: (٢١/٣) الإصابة: (٤٥٢ /٣) .

(٢) أخرجه البخاري (٥/ ٢٣٧٦) برقم (٦١٠٨)، ومسلم (٣/ ١٣٣٩) برقم (١٧١٥) .

(٣) أخرجه البخاري (١/ ١٥٨) برقم (٣٩٧)، وأخرجه مسلم (١/ ٣٨٩) برقم (٥٤٨) .

(٤) صحيح البخاري، باب فضل من استبرأ لدينه، (٢٨/١) رقم (٥٢) .
صحيح مسلم، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، (١٢١٩/٣) رقم (١٥٩٩) .

(٥) سبل السلام للصنعاني (٢٢٧/٤) .

(٦) جامع العلوم والحكم لابن رجب الحنبلي (١٩٤/١) .

فعبوديته سبحانه وتعالى بالابتعاد عن المكروهات سبب في تحصيل الثواب وبه يتميز عباد الله المتقون.

وقد كان رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام - رضي الله عنهم أجمعين - يتركون بعض الأمور ولو كانت غير محرمة؛ خوفاً من الوقوع في الحرام. وتورعاً وحذراً من الوقوع فيما لا يرضي الله.

فهؤلاء النخبة الفذة من البشر ينطبق عليهم قوله تعالى: ﴿ ¼çgô_r N=ö'& ôB 4?/ â: ﴾[1].

فمن أسلم وجهه لله فهو منقاد لأمره مطيع له فيتعبد ربه بالابتعاد عن المحرمات والمكروهات؛ طلبا لرضا الله وحصول الأجر، وكذلك أداؤه للواجبات والمسنونات.

(١) سورة البقرة: آية ١١٢.

المطلب الخامس

العبودية بالمباحات

المباح لغة: باح الشيء ظهر، وباحَ به بَوْحا، وبُؤوحاً، وبؤوحة: أظهره وباح ما كتمت وباح به صاحبه، وباح بسره أظهره، والمباح خلاف المحظور(١).

في الشرع:

١- ما دل الدليل السمعي على خطاب الشرع بالتخيير فيه بين الفعل والترك من غير بدل(٢).

٢- ويعرف بأنه: ما اقتضى خطاب الشرع التسوية بين فعله وتركه من غير مدح يترتب عليه ولا ذم(٣).

٣- عرفه شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله -: " انتفاء دليل التحريم دليل على عدم التحريم (٤).

ويطلق على المباح لفظ الحلال والجائز(٥).

قال تعالى: á $ŸÍhÛ WŠ=m ÇÚ öF{ $#'Î $ÈB {qèäâ $Z9$$g/'»7 â(٦).

فامتن الله عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض من حبوب وثمار وفواكه، وحيوانات حالة كونها "حلالاً" أي محللاً لكم تناولها (طيبا) أي ليس بخبيث: كالميتة والدم ولحم الخنزير والخبائث كلها(٧)

---

(١) لسان العرب (٢/٤١٦) .

(٢) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي (١/١٢٣) .

(٣) شرح مختصر الروضة (١/٣٨٦) .

(٤) انظر القواعد النورانية الفقهية ١٧٩، ط ٢، ١٤٠٤هـ – ١٩٨٣م، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض .

(٥) شرح الورقات في أصول الفقه ٣٩، ٤٠ د. عبد الله الفوزان، دار المسلم للنشر والتوزيع، ط السابعة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٦) سورة البقرة (١٦٨).

(٧) تيسير الكريم الرحمن للسعدي: ٨٠ .

وتكون العبودية بالمباحات إذا نواها الإنسان وقصد بها الوصول إلى شيء مطلوب شرعاً، والأمور المباحة إذا صرفها العبد لمراد الله صارت عبودية؛ لأن المباح إما أن يقصد لذاته لغرض الشخص نفسه، أو يقصد به التوصل إلى غيره، فإذا قصد به ذاته، وتحقيق غرض الفاعل له لم يترتب عليه إثم ولا أجر: كالغسل للتبرد، وإما أن يقصد به الوصول إلى غيره فإنه بنيته الصالحة وقصده الشرعي يحصل به ثواباً بإنشاء هذه النية .

أما كون المباح عباده فقد قرره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – حيث قال:

" فإذا فعل شيئاً من المباحات فلابد له من غاية ينتهي إليها قصده فإن كان منتهى مقصوده ومراده عبادة الله وحده لا شريك له فيثاب على مباحاته التي يقصد الاستعانة بها على طاعة الله "[1].

وما أشار إليه شيخ الإسلام – رحمه الله - هو ما دلت عليه النصوص النبوية، كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (نفقة الرجل على أهله يحتسبها صدقة)[2].

النفقة على الأهل مما جرت به الطبيعة، فصار عرفاً بين الناس، فإذا أضاف إليه الإنسان النية الصالحة في حفظ ذريته من الوقوع في الحرام: كالسرقة مثلاً، تحول هذا الأمر المباح إلى عبودية لله، ولهذا جاء التقييد بقوله "يحتسبها" والاحتساب هو القصد، وقوله – عليه السلام -: (وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا يا رسول الله: أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيه أجر! قال: أرأيتم إن وضعها في حرام ! كان عليه فيها وزر، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) [3] .

---

(١) كتاب الإيمان لابن تيمية: ٦٠

(٢) صحيح البخاري، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى فدخل في الإيمان والوضوء والصلاة والحج والصوم والأحكام (٢٩/١) رقم (٣٩) .

(٣) صحيح البخاري، باب ما جاء أن الأعمال بالنية والحسبة ولكل امرئ ما نوى فدخل في الإيمان والوضوء والصلاة والحج والصوم والأحكام، ج١، حديث رقم ٣٩، ص ٢٩.

فإتيان الرجل أهله من المباحات، فإذا قصد الإنسان قضاء وطر نفسه كان مباحاً، فإن قصد به الإعفاف لنفسه وزوجه، والبعد عما حرم الله، انتقل بهذه النية الحسنة إلى نيل الثواب من الله، فصار المباح من العبادات المأجورة.

فتبين مما تقدم كمال هذه الشريعة وعظمتها، وأن الإنسان يتحول في حياته أبداً إلى عابد لله سبحانه بتوجيه أعماله ومراقبتها نحو مراد الله سبحانه وتعالى في أوامره ونواهيه،حتى المبـــاح فإنه بالقصد الحسن والنية الصالحة يكون عبوديته لله يثاب عليها العبد.

المبحث الثاني

أنواع العبودية من

حيث متعلقاتها

المبحث الثاني

أنواع العبودية من حيث متعلقاتها

قسم أهل العلم العبودية من حيث متعلقاتها إلى ثلاثة أقسام وهي

أولاً- عبودية القلب.

ثانياً- عبودية اللسان.

ثالثاً- عبودية الجوارح.

ومن هنا فإني سأتناول هذا البحث بمطالبه الثلاثة.

المطلب الأول: عبودية القلب:

قال ابن القيم – رحمه الله – " العبودية منقسمة على القلب، واللسان والجوارح وعلى كل منها عبودية تخصه"(١).

من المعلوم عند المحققين من أهل السنة والجماعة أن الإيمان اعتقاد وقول وعمل، وأن الأعمال كلها داخله في مسمى الإيمان، وعمل القلب هو: صلب قضية الإيمان، فمن استقرأ نصوص القرآن والسنة المطهرة، وجد ذلك واضحاً جلياً قال سبحانه: مما يدل على أن الإيمان اعتقاد بالقلب á ßaÎqèè'Î¼çZƒ–r `»JƒMÞ$ÑÒaØ) =7m ©Þ$£Â»9r â (٢).

وعلى أنه تلفظ باللسان á $YÐ-Ö¥ (þâqè `Â»9r (qäBsêÑ©@è $YB#ä Ü #•ãF$M9$% * â (٣).

---

(١) مدارج السالكين (١/١٠٠).

اختار بعض العلماء أن تكون أقسام العبودية خمسة: اعتقادية، قلبية، لفظية، بدنية، حالية. انظر مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية لعثمان جمعة ضميرية ص٢٩٢.

تقديم د. عبد الله العبادي عميد كلية التربية بالطائف، مكتبة السوادي للتوزيع، ط الثانية ١٤٢٠ – ١٩٩٩م.

وأربعة بدمج الاعتقادية مع القلبية.

انظر دعوة التوحيد وأصولها والأدوار التي مرت بها ومشاهير دعاتها لمحمد خليل هراس ص٤٧ الناشر مكتبة الصحابة طنطاش الجنبية الغربي خلف المعهد الأزهري لا يوجد طبعة ولا تاريخ انظر أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي، دار طيبة (٤/٨٣١) .

(٢) سورة الحجرات: ٧.

(٣) سورة الحجرات: ١٤ .

وأما العمل[١] قوله تعـــالى: â !$tBur (#ÿrâÉDé& žwÎ) (#rßç6÷èu‹Ï9 ©!$# ûüÅÁÎ=øƒèC ã&s! tûïÏe$!$# uä!$xÿZãm (#qßJ‹Ï)ãƒur

$9#qè=¢Á9$# á[٢].

وقوله تعـــالى: â £`Å3»s9ur ©!$# |=¬7ym ãNà6ø‹s9Î) z`»yJƒM}$# ¼çmuZƒy—ur 'Îû öNä3Î/qè=è% á[٣] â $yJ¯RÎ) šcqãZÏB÷sßJø9$# tûïÏ%©!$# #sŒÎ) tÏ.èŒ ª!$# ôMn=Å_ur öNåkæ5qè=è% á[٤].

فالقرآن مزيل للأمراض الموجبة للإرادات الفاسدة، حتى يصلح القلب فتصلح إرادته، ويعود إلى فطرته التي فُطِرَ عليها، كما يعود البدن إلى الحال الطبيعي، ويغتذي القلب مـــن الإيمان والقرآن، بما يزكيه ويؤيده كما يغتذي البدن بما ينميه ويقويه، فإن زكاة القلب مثل نماء البدن[٥].

و"العبد إنما يقطع منازل السير إلى الله بقلبه، وهمته، لا ببدنه والتقـــوى في الحقيقـــة تقوى القلب لا تقوى الجوارح"[٦] قال تعالى â 7Ï9ºsŒ `tBur öNÏjàyèム uŽÈµ¯»yèx© «!$# $pk¨XÎ*sù `ÏB "uqø)s?

É>qè=à)ø9$# á[٧].

وعندما ننظر في آيات القرآن نجد بعضها يصف قلوب المؤمنين الذين حققوا عبودية القلـــب لله رب العالمين، ومن ذلك:

١/ وصف الله قلب نبيه وخليله إبراهيم عليه السلام فقال سبحانه: â øŒÎ) uä!%y` ¼çm/u‘ 5=ù=s)Î/

AOŠÎ=y™ á[٨]. والسليم هو: القلب الذي صارت السلامة لازمة له فهو قد ســـلم مـــن الشرك ومن آفات القلوب[٩].

---

(١) انظر: أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، دار طيبة (٨٣١/٤) .

(٢) سورة البينة ٥ .

(٣) سورة الحجرات ٧ .

(٤) سورة الأنفال: ٢.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – (٩٥/١٠ – ٩٦) .

(٦) الفوائد لابن القيم ١٨٦.

(٧) سورة الحج ٣٢.

(٨) الصافات آية ٨٣ – ٨٤.

(٩) انظر: تفسير النسفي، ١٠٠٤.

وهذا هو حقيقة العبودية التي لا تصلح إلا لله وحده، فالقلب السليم: هو الذي سلم من أن يكون لغير الله فيه شرك بوجه ما، بل قد خلصت عبوديته لله تعالى...[١].

وعندما ينظر في آيات القرآن ومنها وصف قلوب المؤمنين الذين حققوا عبودية القلب لله رب العالمين ومن ذلك.

[illegible] /٢

[illegible][٢].

وجلت قلوبهم: فزعت وخافت وهذه صفة المؤمن حقا الذي إذا ذكر الله عز وجل قلبه أي خاف منه ويحمل هذا الخوف على فعل الأوامر وترك الزواجر[٣].

والآيات القرآنية التي دلت على أهمية عبودية القلب وخضوعه واطمئنانه بالعبودية لله كثيرة وعلى أساليب متعددة أذكر منها على سبيل التمثيل الآيات التالية:

قال سبحانه: [illegible]

[illegible][٤]. والقلب المنيب هو: قلب العبد التائب من الذنوب الراجع إلى ما يرضي الله[٥].

وقال أيضاً: [illegible]

[illegible][٦]. فتخبت: أي تخضع وتذل[٧].

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية (٢/١) .

(٢) سورة الأنفال آية ٢.

(٣) انظر تفسير ابن كثير (٣٧٩/٢) .

(٤) سورة ق، ٣٢ – ٣٣.

(٥) انظر: تفسير ابن جرير (٤٢٩/١١) .

(٦) سورة الحج ٥٤.

(٧) تفسير ابن كثير (٣٠٨/٣) .

وقال تعالى: ûïÿ%Ø$Šqè_ qZB ¨ë±ø? 'Î$WB $gÿ»±FB $¥Gï Ï] ƒÿ‰tø$` ¡ô& A"R ª! $â

تقشعر: تضطرب، وتخشع[٢] á «!$ìøŒ 4Î NGçqèr NèŠqè_ Ò,Ï? Ne Nè® šc ö±ø

تلين: تسكن وتطمئن[٣].

وقال عز وجل عن أصحاب الكهف •> ' $ZŠ' (qè)ù (qè$% ôÎ ÒgÏqè 4?ã $YÖ/'r â

والربط على القلوب: يراد به تقويتها بالصبر على هجر الأوطان[٤] á ÇÙ öF{$ Ï N°q»Jj 9$

وحفظها بالإيمان[٥].

وقال تعالى: â Ú qè)Ø$ÛÈ Ö? «!$ìò2 ÉÎ Ÿ& â[٦].

أي: تسكن وترضى القلوب الذاكرة لله تعالى[٧].

والقلب المؤمن يجد في هذه الآيات زيادة في إيمانه، - لا سيما - ذلك العبد العائد إلى الله تبارك وتعالى، الذي رجع إليه بالقيام بطاعته، واجتناب معاصيه فخشع، وذل قلبه لخالقه الذي أنزل كتابه ليظهر به الحق، ويذل الباطل، وأرسل رسوله صلى الله عليه وسلم رحمة بهذا العبد، حتى لا يمشي في دياجير الظلام وليتخذ الصراط المستقيم نبراساً يشع له طيلة مدة حياته، فيكتمل ذلك النور الساطع والضياء اللامع إلى أن يلقى ربه، وقد رضي عنه، وأدخله بفضله ومنته، في مقعد صدق عند مليك مقتدر، أما قلب الكافر الذي صرف قلبه عن مرضاة الله وسار في دنياه كالبهائم بل هو أضل يلقى ربه بذنوب تصل إلى عنان السماء وذلك؛ لأن قلبه اشمأز عند ذكر الله فقال تعالى: Ñ¨'JÕ$Ç‰ñr ª! $•Ïé #Œ Îr â

.[٨] á ÇÍÈ brçÅ¡ó„ Nè #Œ Î ¾ïÏrŠ `Ï ` ƒÿ‰Ø$•Ïé #Œ Îr í•Å¥Ÿ? šc qZÏs¾Ÿw ûïÿ%Ø$Ù qè

---

(١) سورة الزمر ٢٣.

(٢) تفسير البغوي (٤/٧٦) .

(٣) أيسر التفاسير (٤/٤٧٩) .

(٤) سورة الكهف آية ١٤.

(٥) انظر: الكشاف ٦١٣، وانظر تفسير تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٣١١.

(٦) الرعد آية ٢٨.

(٧) انظر: تنوير المقباس: ٢٦٤.

(٨) سورة الزمر ٤٥.

أما من السنة فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أهمية أعمال القلوب أذكر منها:

- حديث النعمان بن بشير – رضي الله عنه – (... ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب) [1].
- حديث عمر بن الخطاب (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) [2].
- وحديث (إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [3]

فدلت هذه الأحاديث على أهمية عبودية القلب، كما دلت على أن عمل القلب قاعدة تنبني عليها الأقوال والأفعال الظاهرة.

(١) أخرجه البخاري (١ / ٢٩) برقم (٥٢) .

(٢) أخرجه البخاري (٣/١) رقم (١) .

(٣) أخرجه مسلم (١٩٨٦/٤ – ١٩٨٧) برقم (٢٥٦٤) .

المطلب الثاني

عبودية اللسان

الحديث في هذا المبحث عن اللسان، هو حديث عن تلك الجارحة التي تنطق بالكلام، وقد ورد ذكر هذه الجارحة في القرآن قال سبحانه وتعالى: â /ƒqàqø bÎl÷ÅÀ¨ÎgÏF$B O

.[1] á ’Îû ÇÚöF{$#ur ÏM»tƒÏ‰ö7ãƒ ÏM»oYÏB÷sßJø9$#ur

وتتحقق عبودية الله في اللسان بأمرين:

الأول: بالقيام بالعبادة القولية بحركة اللسان، وهذه الأقوال منها ما هو من الواجبات القولية: كالأذكار الواجبة في الصلاة التي أمر الله بها رسوله r ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتعليم الجاهل وإرشاد الضال، والقول الصدق[2].

ولهذا أمر الله رسوله محمداً r أن يأمر عباده المؤمنين أن يقولوا في مخاطبتهم ومحاورتهم الكلام الأحسن، والكلمة الطيبة، فإنهم إن لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم[3] قال تعالى: â /ƒqàqø “ Ïd‰Ïm§‘ ß‰ƒÌ“Ψ9$#ur ÏM»oYÏB÷sßJø9$#ur ÏM»tƒÏ‰ö7ãƒ

.[4] á ÇÍÈ $ZÿÏZym #ZÏVx. ãÏ‰÷ƒ¨Š$# ÏM»¨Zy_ ¨bÎ) šc

كفار ومن المستحبات القولية تلاوة القرآن في غير الصلاة، وكثرة ذكر الله من تسبيح وتحميد، وتهليل، والمذاكرة في العلم النافع، والشهادة بالصدق والدعاء، والابتهال إلى الله[5] ولهذا جاء ذكر عباد الله الصالحين الذين يدعونه ويتضرعون إليه، قال سبحانه: â /ƒqàqø “ Ïd‰Ïm§‘ šc

.[6] á ÇÍÈ ôÏB ×ƒy‰ö7ãƒ ÏM»oYÏB÷sßJø9$#ur ÏM»tƒÏ‰ö7ãƒ ÏM»¨Zy_ ¨bÎ) ÏM»oYÏB#uä ÏM»¨Zy_ ‘ÏdÏjŠ$#ur ÏM»¨Zy_ ¨bÎ) MR&r ÏM»oYÏB÷sßJø9$#ur

---

(١) سورة الفتح: ١١.

(٢) انظر: تفسير ابن السعدي: ٤٦٠.

(٣) تفسير ابن كثير: (٦٥/٣) .

(٤) سورة الإسراء: ٥٣.

(٥) تفسير السعدي: ٤٦٠.

(٦) سورة المؤمنون: ١٠٩.

الثاني: القيام بالعبادة القولية بكف اللسان أي عبودية الله بالسكوت وتتحقق هذه العبودية بكف اللسان عن كل قول يبغضه الله ورسوله r ، سواء كان محرماً: كالقذف، أو السب، أو الكذب، أو مكروهات: كالتكلم بما تركه خير من الكلام به مع عدم العقوبة عليه، وقد حث القرآن العباد عن ترك قول الكذب والإفتراء وأمر بترك كل كلام يجره للعقوبة الإلهية، قال سبحانه: > É3ø$ÑÈa6 ç¥Åøi#Ã?$JÏ{qèà?ŵr â

> É3ø$«‹$'?ã brçÏÿ/ ûïï%©$b) > É3ø$«‹$'?ã {rçÏÿÇ)Ï#•m#‹»dr @»=m#‹»d

á ÇÈ bqßsÎøãŵ[1].

ففي هذه الآية نهى الله سبحانه عن سلوك سبيل المشركين الذين حللوا وحرموا بمجرد ما وصفوه، واصطلحوا عليه من الأسماء، بآرائهم من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام وغير ذلك، وهذا التحليل والتحريم الذي سلكه هؤلاء إنما هو صادر منهم لمجرد اتباع الهوى بدون دليل شرعي ولمجرد وصف ألسنتهم الكذب بدون مبرر ولا دليل[2].

وقد جاءت السنة المطهرة بمنع العباد من التحدث فيما لا فائدة منه ولهذا قال عليه الصلاة والسلام: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت)[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام: (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه)[4] وفي الحديث الصحيح عن معاذ بن جبل – رضي الله عنه – أنه سأل النبي r عن أعمال تدخله الجنة ثم قال بعد ذكر هذه الأعمال (ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت: بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه وقال كف عليك هذا قال: قلت: يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال ثكلتك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد

---

(١) سورة النحل: ١١٦.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٧٦٨) .

(٣) أخرجه البخاري (٥/٢٢٧٢) برقم (٥٧٨٤) ومسلم (١/ ٦٩) برقم (٤٧).

(٤) تخريج أخرجه الإمام أحمد (١ / ٢٠١) وأخرجه محمد بن يحيى بن أبي عمرو العدني في الإيمان (١١١) وابن أبي عاصم في الزهد (٥٥) عن علي بن الحسين مرسلاً. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١٠/١٧١) وأخرجه البيهقي في الأربعين الصغرى (٥١) وأخرجه ابن ماجه في السنن برقم (٣٩٧٦) والطبراني (١٩/ ١٢٠) وفي الأوسط (١/ ٣٦٥) و(١/ ١١٥) وفي المعجم الصغير (٢/ ١١٨) من حديث زيد بن ثابت وأخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة (٥/٣٤٥) من طريق علي بن الحسين عن أبيه.

ألسنتهم)[1].

وقد أشار ابن القيم إلى أهل عبودية الله باللسان ووصفهم بقوله: "هم أهل الصراط المستقيم كفوا ألسنتهم عن الباطل، أطلقوها فيما يعود عليهم نفعه في الآخرة، فلا يرى أحدهم يتكلم بكلمة تذهب عليه ضائعة بلا منفعة، فضلاً عن أنها تضره في آخرته، وإن العبد ليأتي يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال فيجد أنه قد هدمها عليه كلها، ويأتي بسيئات أمثال الجبال فيجد لسانه قد هدمها من كثرة ذكر الله عز وجل وما اتصل به "[2].

قال تعالى: á ÇïÈ Ïöõtã ë ‹ï‘ ïñ‰9 ðvî Ø@% `Ï ãïÿù $B â[3].

قال الإمام النووي – رحمه الله -

اعلم أنه ينبغي لكل مكلف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة فالسنة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجرُّ الكلام المباح إلى حرام أو مكروه بل هذا كثير أو غالب فالعادة والسلامة لا يعدلها شيء[4].

كما أن بين القلب واللسان ارتباطاً وثيقاً فإذا كان العبد غير مبالٍ بما يقول ويتكلم بأمور محرمة أو مكروهة فإن هذا مدعاة لقسوة القلب، وقد نص على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث جاء عن ابن عمر – رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله تعالى قسوة للقلب وإن أَبعد الناس من الله القلبُ القاسي)[5].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/٢٣١) وبان ماجه برقم (٣٩٧٣) والترمذي برقم (٢٦١٦) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٣٣٠) وقال الترمذي حديث حسن صحيح .

(٢) مدارج السالكين(١/١١٤ – ١١٥) .

(٣) سورة ق آية ١٨.

(٤) الأذكار للنووي. ٢٢٨ دار ابن حزم، مؤسسة الريان، ط الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

النووي هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين بن حزام ابن محمد بن جمعة النووي الشيخ الإمام العلامة محيي الدين أبو زكريا، شيخ الإسلام، أستاذ المتأخرين، كان يحيى رحمه الله سيدا وزاهدا، لم يبال بخراب الدنيا إذا صير دينه ربعا معمورا له الزهد والقناعة ومتابعة السالفين من أهل السنة والجماعة والمصابرة على أنواع الخير لا يصرف ساعة في غير طاعة، هذا مع التفنن في أصناف العلوم فقها ومتون أحاديث وأسماء رجال ولغة وغير ذلك. ولد النووي في المحرم سنة إحدى وثلاثين وستمائة بنوى وتوفي سنة ٦٧٦ هـ .

(٥) تحفة الاحوذي بشرح سنن الترمذي، باب ما جاء في حفظ اللسان، (٤/٦٣٨) رقم الحديث: (٢٤٥٩) (٧ / ٧٨) حديث رقم (٢٤١١) تأليف محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبوالعلاء، دار الكتب العلمية ـ بيروت .

المطلب الثالث

عبودية الجوارح

أنعم الله على العبد بنعم لا تعد ولا تحصى، وميزه عن غيره من سـائر الكائنـات بنعمة العقل، لكونه مناط التكليف، فالله تعالى كلفنا بالأوامر والنواهي، وأنعم على الإنسان بالصحة والعافية، وهيأ له السمع، والبصر واليدين والقدمين، وغيرها من سائر النعم، كـل هذا لتكون هذه الجوارح معينة للعبد ليعيش الحياة السعيدة في الدارين.

عبودية الجوارح:

قال ابن القيم: - رحمه الله – " لله على العبد في كل عضو من أعضائه أمر وله عليه فيه نهي، وله فيه نعمة، وله به منفعة ولذة، فإن قام لله في ذلك العضو بأمره، واجتنب فيـه نهيه، فقد أدى شكر نعمته عليه فيه وسعى في تكميل انتفاعه ولذته به، وإن عطل أمـر الله ونهيه فيه عطله الله من انتفاعه بذلك العضو، وجعله من أكبر أسباب ألمه ومضرته "[١].

لذا يجب على العبد أن يستخدم هذه الجوارح تحـت عبوديـة الله تعـالى بالقيـام بالواجبات والمندوبات، وترك المحرمات والمكروهات.

ومن هنا كان واجبا عليه الحفاظ على سلامتها، وتعبيدها لله سبحانه وتجنيبها سلوك سبل الغواية، كما قال تعالى: â Ÿwur ß#ø)s? $tB }§øŠs9 y7s9 ¾ÏmÎ/ íOù=Ïæ 4 ¨bÎ) yìôJ¡¡9$# uŽ|Ç7t6ø9$#ur yŠ#xsàÿø9$#ur

‘@ä. y7Í´¯»s9'ré& tb%x. çm÷Ytã Zwqä«ó¡tB á[٢].

فالله تبارك وتعالى سائل هذه الأعضاء عما قال وفعل صاحبها، وذلك في يوم القيامة حيث تسأل عنه وعما عمل فيها[٣].

---

(١) الفوائد، ٢٤٩.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) تفسير ابن جرير (٨١/٨) تفسير ابن كثير (٥٧/٣) .

ومن أعمال الجوارح: الصلاة، والجهاد، ونقل الأقـــدام إلى الجمعـــة والجماعـــات ومساعدة العاجز، والإحسان إلى الخلق ونحو ذلك[1].

وأخبر الله في كتابه أن هذه الجوارح شاهدة على صاحبها في أعماله التي مارسها في حياته، إن كانت خيراً أو شراً، قال ســـبحانه: ﴿ حتى إذا ما جاءوها شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون ﴾[2].

وقال سبحانه: ﴿ اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون ﴾[3].

وقال سبحانه: ﴿ يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون ﴾[4].

عن أنس – رضي الله عنه – قال: (ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم حتى بدت نواجذه ثم قال: ألا تسألون مم ضحكت؟ قالوا: مم ضحكت يا رسول الله؟ قال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة قال: يقول: يا رب أليس وعـــدتني أن لا تظلمـــني؟ قال: فإن لك قال: فإني لا أقبل علي شاهداً إلا من نفسي قال: أو ليس كفـــى بي شـــهيداً وبالملائكة الكرام الكاتبين؟ قال: فيختم على فيه وتتكلم أركانه بما كان يعمل قال: فيقـــول لهن: بُعْداً وسُحْقاً عنكنَّ كنتُ أجادل)[5].

---

(١) مدارج السالكين (١/١٠٠).

(٢) سورة فصلت: ٢١، ٢٢.

(٣) سورة يس: ٦٥.

(٤) سورة النور: ٢٤.

(٥) المستدرك على الصحيحين، كتاب الأهوال، ج٤، حديث رقم(٨٧٧٨).

قال الحاكم: هذا صحيح على شرط مسلم.

عبودية الجوارح:

إن تحديد عبودية هذه الجوارح، وما يجب أن توجه إليه، مما كلف به العبد ليوجهها ويستعملها وفق مراد الله وأمره هي في غاية الأهمية، وفيما يلي أذكر عبودية الجوارح.

أولاً: عبودية السمع وثانياً: عبودية البصر:

عبودية السمع:

السمع:

تتحقق عبودية الله بهذه الجارحة بأمرين:

١- بالعمل أي العبودية بالسماع.

٢- بالكف أي بمنع السماع عما لايحل.

أولاً- العبودية بالسماع:

قال سبحانه: 7Íùréé ÿçZ¡ôn& bqèãÔF‹ù Aö)ø8bqèãÙFó„ ûïÏ‰ŠÇÐÈ Ïš$7ãæ6ù â 7Íùréé ª!$#ãÅ1‰d ûïÏ‰Š (qàrénd á ÇÌÈ É»7øF$#

(١).

وهذا هو السماع الإيماني: سماع العبودية لله الذي مدحه الله في كتابه وأمر به، وأثنى على أصحابه، وذم المعرضين عنه.

وهو سماع آياته المتلوه التي أنزلها على رسوله، فهذا السماع أساس الإيمان الذي يقوم عليه بناؤه، وهو على ثلاثة أنواع: سماع إدراك بحاسة الأذن، وسماع فهم وعقل، وسماع فهم وإجابة وقبول، والثلاثة في القرآن(٢).

---

(١) الزمر، ١٧، ١٨.

(٢) انظر مدارج السالكين (١/٤٨٣، ٤٨٤) بتصرف.

فأما سماع الإدراك: ففي قوله تعالى حكاية عن مؤمني الجن قولهم: [illegible] وقوله أيضاً: [illegible][1]. وقوله: [illegible][2].

وقوله: [illegible][3].

وأما سماع الفهم: فهو المنفي عن أهل الإعراض والغفلة بقولـــه: [illegible][4].

وأما سماع القبول والإجابة ففي قوله تعالى حكاية عن عباده المؤمنين أنهـــم قـــالوا: [illegible] فإن هذا سماع قبول وإجابة مثمر للطاعـــة. وقولـــه تعـــالى: [illegible][5] [illegible][6].

وعبودية الله بالسماع تتحقق بوجودها جميعا، فإدراك الصوت يتعلق بـــه التكليـــف وفهم الخطاب يتعلق به العمل، والاستجابة طريق الأداء.

---

(١) الجن آية ١، ٢.

(٢) سورة الأحقاف: ٢٩.

(٣) سورة المجادلة: ١.

(٤) الروم آية ٥٢.

(٥) النور آية ٥١.

(٦) سورة الأنعام: ٣٦.

ثانياً - العبودية بترك السماع، وهو السماع المذموم:[1] فهو الذي ذمه الله في كتابه ونهى عنه ومدح من ترك سماعه فقال سبحانه: [illegible][2] وهو الغناء[3] كما ذكره ابن الجوزي في تفسيره عن بعض الصحابة والتابعين.

العيـــــن:

فالعيون مصائد الشيطان، والعين أنفذ الجوارح صَرْعَةً، (فمن أتبع جوارحه نفسه في طاعة ربه، فقد وصل أمله)، (ومن أتبع جوارح نفسه في نيل لذاته، فقـــد أحـــبط عملـــه) فليحذر اللبيب من إرسال النظر فيما لا يحل له، فإنه سهم صائب وسلطان غالب[4]

قال عليه الصلاة والسلام: (النظر سهم من سهام إبليس فمن تركه مخافة الله تعـــالى أعقبه إيماناً يجد طعمه في قلبه)[5].

وتتحقق عبودية الله في هذه الجارحة بأمرين:

١/ بالكف.

٢/ بالنظر.

---

(١) مدارج السالكين (١/٤٨٣ – ٤٨٤).

(٢) الفرقان آية ٧٢.

(٣) تفسير زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي ١٠٢٤، المكتب الإسلامي، دار ابن حزم.

وابن الجوزي هو الشيخ العلامة الحافظ المفسر، شيخ الإسلام جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبد الله ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي، صنف في التفسير المغني وهـــو كتاب كبير اختصره في أربع مجلدات سماه زاد المسير، وكان من العلماء المشهورين بالوعظ يحضر مجالسه الأمـــراء والخلفاء والأئمة والكبراء، ولد في سنة عشر أو ثمان وخمسمائة تقريباً، وتوفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة .ينظـــر في: الكامل لابن الأثير: (١٢/٧١) ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي في الذيل: ١٢٢، التكملة للمنذري ترجمة رقـــم ٦٠٨، غاية النهاية (١/٣٥٧) سير أعلام النبلاء: (٢١/ ٣٦٥) البداية والنهاية ١٣: ٢٨

(٤) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد، لعبد العزيز محمد السلمان، ط٣، سنة ١٤٢٢هـــ، ص١٥.

(٥) المستدرك على الصحيحين، كتاب الرقاق، (٤/٣٤٩) رقم (٧٨٧٥).

قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد و لم يخرجاه.

فأما الأمر بالكف فهو في قوله سبحانه [illegible] [illegible][1]. ففي هذه الآية إرشاد من الله لعباده المؤمنين الذين تعبدوا الله بكف أنظارهم عما لا يحل لهم، ومعهم إيمان يمنعهم من الوقوع في ما يخل بدينهم، أن يغضوا من أبصارهم عن النظر إلى العورات، وإلى النساء الأجنبيات وإلى المردان الذين يخاف بالنظر إليهم الوقوع في الفتنة[2].

عبودية البصر:

تكون بالنظر والتأمل في مخلوقات الله الدالة على قدرته، وأنه واحد أحد فرد صمد لا شريك له في ملكه، قال تعالى: [illegible][3].

وقال: [illegible][4].

وقوله تعالى: [illegible][5].

بقية الجوارح:

الأنف، والفم، واللمس، واليد، والرجل، والفرج.

١- حاسة الشم نعمة عظيمة من نعم الله على عباده، فبها يميز بين الطيب والخبيث والحلال، والحرام، وهذا واجب، أما الشم المحرم: فتعمد شم الطيب في الإحرام، وشم الطيب المغصوب، والمسروق، أما الشم المستحب: فشم ما يعينك على طاعة الله ويقوى الحواس.. ومن هذا: هدية الطيب والريحان إذا أهديت إليك ففي صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم: (من عرض عليه ريحان فلا يرده فإنه طيب الريح خفيف المحمل) [6].

---

(١) سورة النور، آية ٣٠.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٧٣)، السعدي: ٥٦٦.

(٣) سورة يونس: ١٠١.

(٤) سورة الغاشية: ١٧

(٥) سورة الروم: ٥٠.

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٧٦٦) برقم (٢٢٥٣) .

والمباح: ما لا منع فيه من الله ولا تبعه، ولا فيه مصلحة دينية، ولا تعلق له بالشرع.

٢- حاسة الذوق: أما الذوق الواجب: فتناول الطعام والشراب عند الاضطرار إليه وخوف الموت، والذوق المحرم: كذوق الخمر والسموم القاتلة ونحوه، أما المكروه: فذوق المشتبهات.

أما الذوق المستحب: أكل ما يعينك على طاعة الله – عز وجل – مما أذن الله فيه والأكل مع الضيف ليطيب له الأكل فينال منه غرضه.

والذوق المباح: ما لم يكن فيه إثم ولا رجحان.

٣- حاسة اللمس: فاللمس الواجب: كلمس الزوجة حين يجب جماعها والأمة الواجب إعفافها.

والحرام: لمس ما لا يحل من الأجنبيات.

ويدخل في هذا مصافحة الأجنبية فهذا من اللمس المحرم.

والمستحب: إذا كان فيه غض بصره، وكف نفسه عن الحرام، وإعفاف أهله

والمباح: ما لم يكن فيه مفسدة ولا مصلحة دينية.

٤- اليد: ومنه الواجب: مباشرة الوضوء والتيمم.

ومنه الحرام: كقتل النفس التي حرَّم الله قتلها ونهب المال المعصوم واللعب المحرم بالنص وكتابة البدع المخالفة للسنة تصنيفاً أو نسخاً لقوله: â qù ...[illegible] (١).

والمكروه ككتابة ما لا فائدة في كتابته ولا منفعة فيه في الدنيا والآخرة.

والمستحب: كتابة كل ما فيه منفعة في الدين أو مصلحة لمسلم.

والمباح ما لا مضرة فيه ولا ثواب(٢).

---

(١) سورة البقرة، آية ٧٩.

(٢) مدارج السالكين (١/١١٩ – ١٢١) بتصرف.

عن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كُتب على ابن آدم نصيبه من الزنا مدرك ذلك لا محالة العينان زناهما النظر والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش والرجل زناها الخُطا والقلب يهوى ويتمنى، ويصدق ذلك الفرج أو يُكَذِّبه) [١] متفق عليه.

أما القدم: فعبوديتها تكون "بأن لا ينقل قدمه إلا فيما يرجو ثوابه عند الله، فإن لم يكن في خطاه مزيد من ثواب، فالقعود عنه خير له، ويمكنه أن يستخرج من كل مباح يخطو إليه قربة يتقرب بها وينويها لله، فتقع وتنقلب عادته عبادة ومباحاته طاعات[٢].

ولما كانت العثرة عثرتين: عثرة الرجل، وعثرة اللسان، جاءت إحداهما قرينة للأخرى"[٣] في قوله: â ßr7$ßßÇ»Ï‰ø$ïš ú ðƒà¾bqç?’$Fø{ ÇJ÷ƒ$Zçd÷r Ïe$Ûü‰{ Ï&Î#

á ÇÏÌÈ $VJ»=™ ¨qè%š c qèg» f ¿2 [٤].

فوصفهم بالاستقامة في لفظاتهم وخطواتهم، كما جمع بين اللحظات[٥] والخطرات في قوله تعالى: â ÏM=è¾f { ÑpZÍ‘$ ‘ ÿ¼ã$Br ÈãÃF{ ÑpÇÍ‘$ ¾ÁÏ9$ ‘ ÿ¼ã$ ÇÌÈ â[٦].

الفرج: - أمر الله عباده بالعفاف، وحفظ الفروج، ومدح من استجاب لأمره فقال:

â ÏM=B $B ÷ø ÑÏgÅ°ø #?ã ÿ¼ç) ÇÌÈ bqÝÁÏ»m ÑÏgÅ÷øÿ¼ç ÑÏ ûïÏ‰ø$ â

. á ÇÏÈ brßÏèø$ÑÏ 7Í»9÷ê 7Ï°Ä±‘r áöG¾ßÇJù â .[٧] á ÇÏÈ šú üÏBqè

والمعنى: والذين قد حفظوا فروجهم من الحرام، فلا يقعون فيما نهاهم الله عنه، من زنا ولواط، ولا يقربون سوى أزواجهم التي أحلها الله لهم، أو ما ملكت أيمانهم من السراري

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٦٧٤٨).

(٢) مدارج السالكين ١/١٢١ بتصرف.

(٣) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم ص٢٣٧.

(٤) سورة الفرقان، آية ٦٣.

(٥) الجواب الكافي، ص٢٣٧.

(٦) سورة غافر، آية ١٩.

(٧) سورة المؤمنون، الآيات ٥، ٦.

ومن تعاطى ما أحله الله له فلا لوم عليه ولا حرج ولهذا قال: â üBqèB žöî ÑÅfù šú[1] ÇÏÈ

â 7ÿ‰E ä!‘r ÓöGõ$ÇJù أي غير الأزواج والإماء (فأولئك هم العادون) أي المعتدون[2].

وقال أيضاً â ẅr ?ç(q$#Th%$ #ÎRç¼ .%b ù» Å±z r™$ä ™Î‹Wx ÈÏÇ á[3].

والنهي عن قربان الزنا يشمل النهي عنه، وعن جميع دواعيه ومقدماته: كالنظر المحرم والخلوة الأجنبية، وخطاب من يخشى الفتنة بخطابه ونحو ذلك، ووصف الزنا بأقبح الأوصاف بأنه فاحشة، أي جريمة عظيمة تُسْتَتْفحَش شرعا وعقلاً؛ لأن فيها انتهاك حرمة الشرع والتهاون به وفيه إفساد المرأة، وإفساد الأنساب، واختلاط المياه، وفيه إضرار بأهلها وبزوجها، وبكل من يتصل بها، وفيه من المفاسد شيء كثير[4].

وفرض البصر: الغض عن المحارم وترك التطلع فيما حجب وستر[5].

ارتباط أعمال القلب بأعمال الجوارح:

تبين مما سبق أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين أعمال القلب (الأمور الباطنة) وأعمال الجوارح (الأمور الظاهرة).

ولا شك أن أي عمل ظاهر لابد وأن يكون مرتبطا بالإيمان والتصديق والإخلاص في العمل.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: – رحمه الله – "وهذه الأمور الظاهرة والباطنة بينهما ارتباط ومناسبة، فإن ما يقوم بالقلب من الشعور والحال يوجب أموراً ظاهرة، وما يقوم بالظاهرة من سائر الأعمال، يوجب للقلب شعوراً وأحوالاً"[6].

وقال: "فمن قام بظاهر الدين من غير تصديق بالباطن فهو منافق ومن ادعى باطناً يخالف ظاهراً فهو كافر منافق، بل باطن الدين يحقق ظاهره ويصدقه، وظاهره يوافق باطنه ويصدقه، ويحققه، .... والقرآن مملوء من ذكر أحكام الباطن والظاهر والباطن أصل للظاهر"[7].

---

(١) سورة المؤمنون، ٦.

(٢) سورة الإسراء، آية ٣٢.

(٣) تيسير اللطيف المنان ٦١.

(٤) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن ٦١.

(٥) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد ٣٩.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، ١٠١، تحقيق: د. ناصر العقل، توزيع، وزارة الشؤون الإسلامية، ط٧ ١٤١٩هـ.

(٧) مجموع فتاوى، شيخ الإسلام (٢٦٨/١٣).

لذا جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب)[1].

في الحديث دلالة على أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه للمحرمات، واتقائه الشبهات، بحسب صلاح حركة قلبه، فإن كان قلبه سليما، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقي الشبهات حذراً من الوقوع في المحرمات، فإن كان القلب فاسداً قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي، والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب[2].

الصلاة بين عبودية القلب واللسان والجوارح:

بعض العبادات تجمع بين هذه الثلاثة الأنواع كالصلاة والزكاة والحج والجهاد ونأخذ على سبيل المثال الصلاة:-

فالعبد المسلم الذي يؤدي الصلاة بخشوع، وتؤدة، وتعظيم، ومهابة وجمع في قلبه أنواع العبادات القلبية: كالمحبة، والخوف، والرجاء، يظهر خشوع قلبه على جوارحه فالأصل أن يخشع، ويطمئن القلب في الصلاة وبعد ذلك تخشع الجوارح، وكذلك اللسان في قراءته للآيات، وفي تسبيحاته وتحميداته، وتكبيراته، وكذلك حركات اليدين، والقدمين. وأعضاء الوضوء يظهر أثر الخشوع عليها.

وحقيقة الخشوع: هيئة في النفس يظهر منها في الجوارح سكون وتواضع، قال قتادة*: - رحمه الله - الخشوع في القلب وهو: الخوف وغض البصر في الصلاة[3].

---

(١) أخرجه البخاري (١ / ٢٩) برقم (٥٢) .

(٢) جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي (١/٢١٠) .

(*) هو قتادة بن دعامة بن قتادة بن عزيز بن عمرو بن ربيعة بن عمرو بن الحارث بن سدوس أبو الخطاب السدوسي البصري ولد أكمه، وكان عالما إماما، قال عمرو بن علي ولد سنة ٦١ ومات سنة ١١٧، وقال أبو حاتم توفي بواسط في الطاعون وهو ابن ست أو سبع وخمسين سنة بعد الحسن بسبع سنين، وقال أحمد ابن حنبل عن يحيى بن سعيد مات سنة ١١٧ أو ١١٨. ترجمته في سير أعلام النبلاء (٤/٦٠٦) وتاريخ الإسلام ١٩٢/٤) وتاريخ بغداد (٥/٣٣١).

(٣) أحكام القرآن لأبي بكر محمد بن عبد الله العربي، اعتنى به وصححه هشام البخاري (١/٣٧٤) دار عالم الكتب ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.

وقد مدح الله الخاشعين في كتابه فقال: â $Sï%û dÎ Î' ¹ |ÏÉÎÎ z»Æãqb ÈÇ á[1].

وقد جاء في السنة ما يدل على فضل الخشوع فيها، والخشوع: خـــشوع الـــصلاة روحها، وحقيقتها، ويقصد به حضور القلب، والتأمل في تلاوة القرآن، وفي أداء الأركـــان واليقظة، والتفهم لما يؤديه المسلم، وهو واقف أمام الله تعالى[2]. ومن ذلك:

١- ما روي عن عثمان بن عفان – رضي الله عنه – عن النبي صلى الله عليه وسلم أنـــه قال: (ما من امرئ تحضر صلاة مكتوبة، فيحسن وضوءها، وخشوعها، وركوعها، إلا كانت كفارة لما قبلها من الذنوب ما لم يأت كبيرة وذلك الدهر كله)[3].

٢- "كما أن للصلاة أركاناً، وواجبات، وسننا، وروحها النية، والإخلاص والخـــشوع وحضور القلب، فإن الصلاة تشتمل على أذكار، ومناجاة وأفعال، ومع عدم حضور القلب لا يحصل المقصود بالأذكار والمناجاة؛لأن النطق إذا لم يعبر عمـــا في الـــضمير كان بمترلة الهذيان، وكذلك لا يحصل المقصود من الأفعال؛ لأنه إذا كان المقصود من القيام الخدمة، ومن الركوع والسجود الذل والتعظيم، و لم يكن القلـــب حاضـــراً لم يحصل المقصود، فإن الفعل متى خرج عن مقصوده بقي صورة لا اعتبار بهـــا. قـــال تعالى: â 9` ƒZ$A$© éçqã$g rÿ ŠB$äd$ r9»Å ` ƒZ$ã$9ó)q "3 ËZãN á والمقصود أن الواصل إلى الله سبحانه وتعالى هو الوصف الذي استولى على القلب، حتى حمل على امتثال الأوامر المطلوبة فلابد من حضور القلب في الصلاة، ولكن سامح الـــشارع في غفلة تطرأ؛ لأن حضور القلب في أولها ينسحب حكمه على باقيها"[4].

---

(١) سورة المؤمنون، آية ٢.

(٢) تفسير القرآن الكريم د. عبد الله شحاته (٩/ ٣٤٥٤)، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، لا يوجد طبعة .

(٣) صحيح مسلم، باب فضل الوضوء والصلاة عقبه، (١/ ٢٠٦) رقم (٢٨٨) .

(٤) مختصر منهاج القاصدين للمقدسي، ص٢٩.

المبحث الثالث

أنواع العبودية من حيث العموم والخصوص

المبحث الثالث

أنواع العبودية من حيث العموم والخصوص

وتحته مطلبان:

المطلب الأول: العبودية العامة:

عبودية أهل السماوات والأرض كلهم لله، بَرِّهم، وفاجرهم مؤمنهم،وكافرهم فهذه عبودية القهر، والملك، والخضوع، والاستسلام بغير اختيار[١]. قال سبحانه: `B @à2 bî â

قال ابن جريرـ رحمه الله ـ "أي ما جميع من في السماوات من الملائكة وفي الأرض من البشر والإنس والجن (إلا آتي الرحمن عبدا) يقول: إلا يأتي ربه يوم القيامة عبداً له، ذليلاً خاضعاً، مقراً له بالعبودية"[٣].

وقال سبحانه:

وقوله [٤]

.[٥]

وهذه العبودية هي: المتعلقة بالأمر والمراد به الأمر الذي يقع لا محاله سواء رضي المخلوق أم لم يرض به[٦].

والأدلة من القرآن كثيرة لايستطيع أن يرده أو يدفعه أحد قال سبحانه:

.[٧]

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/١٠٥).

(٢) سورة مريم ٩٣.

(٣) جامع البيان في تأويل القرآن(٨/٣٨٤- ٣٨٥).

(٤) سورة الرعد: ١٥.

(٥) سورة النحل: ٤٩.

(٦) انظر فتاوى شيخ الإسلام (١٠/٢٤) شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين ص٥٦٥، ٥٦٦، دار الثريا للنشر والتوزيع.

(٧) سورة يس، آية ٨٢.

"فإنه تعالى هو الملك المالك لكل شيء الذي جميع ما سكن في العالم العلوي والسفلي ملك له، وعبيد مسخرون، ومدبرون، يتصرف فيهم بأقداره الحكمية وأحكامه الشرعية وأحكامه الجزائية" (١).

وقال أيضاً: ïnøÎr $tdöŸ2 r $ŠöqÛ Äß öF{$r ÏN°q»Jj¡ 9$'Î `B N=ð%ÿ¥ár â

. á šc qã_öã

تبين من هذا أن هذه العبودية متعلقة بربوبيته تعالى.

فالعبد في العبودية العامة "يراد به المعبَّد أي المذلل، والمسخر، دون اختيار منه دخل فيه جميع المخلوقات من جميع العالم العلوي والسفلي، من عاقل وغيره، ومن رطب، ويابس ومتحرك، وساكن، وظاهر، ومؤمن وكافر، وبر، وفاجر، وغير ذلك"(٢).

وقد ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله - فقال:" العبد يراد به المعبَّد الذي عبَّده الله فذلَّله ودبَّره وصَّرفه، وبهذا الاعتبار فالمخلوقات كلهم عباد الله...، لا يخرجون عن مشيئته وقدرته،... فما شاء كان وإن لم يشاؤوا، وما شاءوا إن لم يشأه لم يكن... فهو سبحانه رب العالمين، وخالقهم ورازقهم، ومحييهم، ومميتهم... اعترفوا بذلك أو أنكروه، وسواء علموا ذلك أو جهلوه... فإذا عرف العبد أن الله ربه وخالقه وأنه مفتقر إليه محتاج إليه عرف العبودية المتعلقة بربوبيه الله. وهذا العبد يسأل ربه، ويتضرع إليه ويتوكل عليه، لكن قد يطيع أمره، وقد يعصيه، وقد يعبده مع ذلك، وقد يعبد الشيطان والأصنام، ومثل هذه العبودية لا تفرق بين أهل الجنة وأهل النار ولا يصير بها الرجل مؤمنا" وهي المذكورة في مثل قوله سبحانه: á ÇÈ bqäîöB Nèr ×v)«¦ $Y Nèdöò2 &ßBs¬$Br â (٣).

وهذه العبودية هي عبادة الخضوع، والاستسلام، التي لا يتعلق بها التكليف(٤).

---

(١) تفسير ابن السعدي ٧٠٠، انظر مدارج السالكين (١/١٠٥) .

(٢) انظر: معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد لحافظ حكمي (٢/٤٣٥) دار ابن القيم.

(٣) سورة يوسف، آية ١٠٦.

(٤) انظر: العبودية، لشيخ الإسلام: ٤٧، ٤٨ بتصرف.

المطلب الثاني

العبودية الخاصة

عبودية الطاعة، والمحبة، واتباع الأوامر[١] وهي عبودية الاختيار، والإدراك مما يتعلق بالإرادة الشرعية، والنصوص القرآنية تأمر بها وتدعو إليها وتعاقب من ابتعد عنها، ومن تلك النصوص قوله تعالى: â ÎÜ»ãƒ Ïí ãã 79 § ø “ Ï$%ã bÎ â[٢].

أي الذي قدرت لهم الهداية فلا سبيل لك عليهم (أي من قبل الشيطان) ولا وصول لك إليهم[٣].

وهي التي أرسل الله بها الرسل جميعا، كما في قوله تعالى: â 9r)ø/ #Z$Î ’ 2èàèé Bé7 وقوله: â Br$Ù™ù Z$ `Bš• îö `B wqƒ§ Âc $ÂâãÇ r$ ©Ç ô_Ç ÇÚ qÇ» Ò N qá[٤] وهي التي افترق الناس فيها إلى مؤمن وكافر، القائمون بها يدخلون الجنة والمتمردون عليها يدخلون النار.

وهي عبودية الطاعة بحب واختيار، وهي الحقيقة الدينية، التي هي عبادته المتعلقة بألوهيته وطاعة أمره، وأمر رسوله[٦].

وهذه العبادة: هي التي يحبها الله ويرضاها، وبها وصف المصطفين من عباده[٧].

قال سبحانه: â ‰ç$ ¨Ÿ2 ÎÁ/ ©! ïú šá[٨].

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم (١/١٠٥) .

(٢) سورة الحجر، آية ٤٢.

(٣) تفسير ابن كثير (٢/٧١٨) .

(٤) سورة النحل: ٣٦.

(٥) سورة الأنبياء: ٢٥.

(٦) العبودية ٥٠.

(٧) العبودية ٥١ انظر شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين في أنواع العبودية ص٥٦٥، ٥٦٦.

(٨) سورة الزمر، آية ٢.

أي أخلص لله تعالى جميع دينك من الشرائع الظاهرة والشرائع الباطنة الإسلام والإيمان والإحسان، بأن تفرد الله وحده بها وتقصد به وجهه لا غير ذلك من المقاصد.

وقال تعالى: â ÏM Ï$ƒÏ‚ƒÈ!$ŸÒ ÏŒâ[1].

"هذا تقرير للأمر بالإخلاص، وبيان أنه تعالى كما أن له الكمال كله وله التفضل على عباده من جميع الوجوه، فكذلك له الدين الخالص الصافي من جميع الشوائب، فهو الدين الذي ارتضاه لنفسه، وارتضاه لصفوة خلقه وأمرهم به؛ لأنه متضمن للتأله لله في حبه، وخوفه، ورجائه وللإنابة إليه في عبوديته، والإنابة إليه في تحصيل مطالب عباده وذلك الذي يصلح القلوب، ويزكيها، ويطهرها، دون الشرك به في شيء من العبادة، فإن الله بريء منه وليس لله فيه شيء فهو أغنى الشركاء عن الشرك"[2].

والعبودية الخاصة مرتبطة بالنوع الثاني للعبد وهو: "العبد بمعنى العابد فيكون عابداً لله لا يعبد إلا إياه، فيطيع أمره وأمر رسله، ويوالي أولياءه المؤمنين المتقين، ويعادي أعداءه"[3].

أركان العبادة:

للعبادة ركنان:

الركن الأول: كمال الحب الذي هو غايته ومنتهاه وهذا لا يكون إلا لله وحده فإنه وحده سبحانه هو المحبوب لذاته وأما سواه فإنه يحب لعلل وأغراض يقول تعالى: â ûïÍ$ÿ#ä[4] ويقول صلى الله عليه وسلم: "ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما وأن يحب العبد لا يحبه إلا لله وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"[5].

---

(١) سورة الزمر، آية ٣.

(٢) تفسير ابن السعدي ٧١٨.

(٣) العبودية لابن تيمية ص٥١.

(٤) سورة البقرة ١٦٥ .

(٥) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان (١٤/١) رقم (١٦) .

الركن الثاني: الذل والخضوع: والمراد به غايته ومنتهاه وفي الحالة هذه لا يكون إلا لله تعالى فيتضمن تقديم ما شرعه الله على ما سواه فإذا تعارض مراد الله ورسوله ومراد نفسه أو هواه ونحو ذلك قدم مراد الله تعالى[1] كما قال: 8q3Bsa4m šc qBsaw 7hr Xù â[2].

(١) المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية على مذهب أهل السنة والجماعة، تأليف د. إبراهيم البريكان، دار السنة للنشر والتوزيع، ط الثانية ١٤١٤هـ، ص١١٥.

(٢) سورة النساء: ٦٥.

الفصل الثالث

العبودية الباطلة

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: تعريف العبودية الباطلة... ومتى تكون باطلة.

المبحث الثاني: تنديد القرآن بالعبودية الباطلة وعقوبة من اتخذ أنداداً من دون الله.

المبحث الثالث: أنواع ما عُبد من دون الله.

المبحث الرابع: الطرق العقلية الواردة في القرآن فيمن عبد غير الله.

المبحث الأول

تعريف العبودية الباطلة ومتى تكون باطلة

المبحث الأول

تعريف العبودية الباطلة

أرسل تعالى جميع رسله، وأنزل جميع كتبه، بأن لا يعبد إلا هو وحده لا شريك له لا يعبد معه ملك، ولا نبي، ولا صالح، ولا تماثيلهم، ولا قبورهم، ولا شمس، ولا قمـــر ولا كواكب ولا ما صنع من التماثيل لأجلهم ولا شيء من الأشياء[١].

قـــال ســـبحانه: ‘ »ƒîù ¥ôh°r ¤»9Î qè $JRÎ Ëœ¥Z¤ŠËœg»9Î ¥ÿäÏ, G? ¥w ª! A%r * â:

.[٢]á ÇÎËÈ bqàG? «! $Žöó¡& $6Ï¹ #r ¡ëë!$ár ÇÚ öF$r ÏN°q»K¡¡ 9$'Î $B ¼ár ÇÎËÈ Ëqçdö$u

يخبر الله تعالى أنه لا إله إلا هو، وأنه لا ينبغي العبادة إلا له وحده ويستدل على ذلك بانفراده بالنعم والوحدانية، فقال: "لا تتخذوا الهين اثنين" أي كيف يليق بحال المشركين أن يجعلوا له شريكا في إلهيته ؟ وهو واحد في ذاته وأسمائه ونعوته وأفعاله فهو المستحق أن يعبد وحده لا شريك له[٣].

قلت: وهذه هي العبودية الحقة وما عداها عبودية باطلة، فكل ما عبد مـــن دون الله من بشر، أو ملك، أو جني، أو صنم، أو شجر، أو حجر أو غير ذلك فكله معبود باطل، والمعبود بالحق هو الله وحده[٤] كما قال سبحانه: â bqãèƒ $B b&r ‘, s#ŠqÈ ©$b'Î 7Ï°E

.[٥]á ÈÚ»7#$ïrŠ `Ï

وقد بيَّن شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – هذه العبودية فقال: "فمن لم يكن الله معبوده ومنتهى حبه وإرادته، بل استكبر عن ذلك، فلابد أن يكون له مراد محبوب يستعبده غير الله، فيكون عبداً لذلك المراد المحبوب إما المال، وإما الجاه، وإما الصور، وإما ما يتخـــذه

---

(١) انظر الرد على الأخنائي: ٦.

(٢) سورة النحل: ٥١، ٥٢.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢/٧٤٥) السعدي: ٤٤٢.

(٤) انظر: حراسة التوحيد، لسماحة الشيخ عبد العزيز بن بـــاز – رحمـــه الله – ٦٠، دار ابـــن الأثـــير، ط الأولى ١٤٢٤هـــ - ٢٠٠٤م.

(٥) سورة لقمان: ٣٠.

إلها من دون الله كالشمس، والقمر، والكواكب والأوثان، وقبور الأنبياء والصالحين، أو من الملائكة والأنبياء الذين يتخذهم أرباباً أو غير ذلك مما عبد من دون الله[١].

والقرآن الكريم مملوء من التحذير من سلوك طريق الضالين المنحرفين عن العبودية الحقة إلى العبودية الباطلة، بل وعد من نهج ذلك الطريق عذاب النار ولأجل الخطورة والخسارة في الدنيا والآخرة كان الرسل – عليهم الصلاة والسلام – يبذلون كل ما في وسعهم للتحذير من الانخراط في سلك العابدين لمعبودات باطلة لا تنفع ولا تضر بل والإنكار على ذلك .

وقد دعا محمد - صلى الله عليه وسلم - قومه إلى عبودية الله العبودية الحقة وذكر حال من عبد غير الله وعقابه فقال: â bqä& Þl{ Nl ëBé r ÇÈ ûïë!$oÇC$Á îæ ©$‰çã& Þ& Nl ëBépõ)@è â

$Á îæ ‰çã& ©$è@è ÇÈ 8à ã Pöƒ >#‹ã 'îr ÁÁ ã Þ) Ï$ %{& þõ)@è ÇÈ ûüÏóÇ3Ø$Aï&

Pöƒ NÍ Îèr Nl ¡ ÿR& ÿÿzÅ z ûï‰Ï$ `ƒÎÂ»ƒø$b)@è ¾ïrß `Ï Læ© $B ƒr‰çã$ ÇÍÈ ÓÍƒß ¼ø©

@=ß NÍÉß `Ïr í$Z9$ `Ï @=ß NÎÿ‰ù `Ï Mç; ÇÍÈ Ò7Ø$ß#Žã ø$qè 7ÿ°Œ ÿw& þJ»š}ø$

$dr‰çè‚ b& Nqá‰Ö9$ƒqç^Gô_$ ûï‰Ï$ ÇÍÈ Èqà?$ Ï$7è»ƒ ¼ç$7ã ¾ïÎ ª!$ Ï$ Ïã 7ÿ°Œ

ÿçZ¡ô& bqèÎF‹ù Aö)ø$ bqèÜFó„ ûï‰Ï$ ÇÍÈ Ï$7ã ŽÅ6ù 3ŽÖ ç6ø$ Ï$9 ‹!$ '‹Î ƒçÇ$R&r

á ÇÍÈ É»7ø{$ƒqãréNè 7Í9ré ª!$ Ï$1‰d ûï‰Ï$7Í9ré .[٢]

â ûïë!$oÇC$Á îæ ©$‰çã& Þ& Nl ëBépõ)@è أنه - صلى الله عليه وسلم – أُمر بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له خالياً من الشرك والرياء[٣] .

â ûüÏóÇ3Ø$Aï& bqä& Þl{ Nl ëBé r أي أول المنقادين لله من هذه الأمة وكذلك كان – صلى الله عليه وسلم – فإنه أول من خالف دين آبائه ودعا إلى التوحيد[٤] .

---

(١) العبودية: ١١٢.

(٢) سورة الزمر ١١ - ١٦ .

(٣) تفسير ابن كثير (٦٢/٤) روح المعاني (٣٤٧/١٢) ،

(٤) فتح القدير (٤٥٤/٤) .

أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين إني أخاف إن عصيت ربي فيما أمرني به من عبادته، مخلصاً له الطاعة، ومفرده بالربوبية عذاب يوم القيامة، وهذا تعريض بهم بطريق الأولى والأحرى[١] .

ثم أكد الأمر بالإخلاص في الطاعة للدلالة على أنه يعبد الله وحده ولترسيخ المعنى في الأذهان، فقال: وهذه الآية إخبار بأنه يخص الله وحده بعبادته مخلصاً له دينه دون غيره، والآية الأولى إخبار بأنه مأمور بالعبادة والإخلاص[٢] .

ثم هددهم فقال: أي اعبدوا أي شيء شئتم عبادته من دون الله، وجعلت الصلة هنا فعل المشيئة إيماء إلى أن رائدهم في تعيين معبوداتهم هو مجرد المشيئة والهوى بلا دليل[٣]،

أي قل لهم أيها الرسول إنما الخاسرون كل الخسران، هم الذين خسروا أنفسهم بالضلال والشرك والمعاصي وخسروا أتباعهم من الأهل حيث أضلوهم وأوقعوهم في العذاب الدائم يوم القيامة، وهذا هو الخسران البين الظاهر الواضح، فلا خسران أعظم منه، إذ لا مجال لتعويض الخسارة[٤] .

أي لهم أطباق كائنة من فوقهم ظلل كثيرة متراكمة بعضها فوق بعض كائنة من النار[٥].

جعل ما أعده لأهل الشقاء من العذاب داع يدعو عباده إلى التقوى، وزاجراً عما يوجب العذاب[٦].

---

(١) انظر تفسير ابن جرير(١٠/٦٢٣) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج أ. د وهبة الزحيلي(١٢/٢٩١) دار الفكر، ط ٢/١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م .

(٢) تفسير النسفي ١٠٢٣، الكشاف ٩٣٦، ٩٣٧

(٣) التحرير والتنوير(٩/٣٦٠) .

(٤) التفسير المنير(١٢/ ٢٩٢) .

(٥) روح المعاني (١٢/٣٤٩) .

(٦) تفسير ابن كثير (٤/٦٣) .

لما ذكر حال المجرمين ذكر حال المنيبين وبين ثوابهم فقال: "والـــذين اجتنبـــوا الطاغوت" ويراد بالطاغوت هنا: عبادة غير الله فاجتنبوها في عبادتها لهم البشرى في الحيـــاة الدنيا وفي الآخرة، الذين يستمعون القول الحق من كتاب الله وسنة رسوله– صلى الله عليه وسلم – فيفهمونه ويعملون بما فيه أولئك الذين هداهم الله لأحسن الأخـــلاق والأعمـــال فهم أهل العقول الزكية الصحيحة والفطر المستقيمة[1] .

(١) السعدي ٧٢٣، زاد المسير ١٢٢٦ .

المبحث الثاني

"تنديد القرآن بالعبودية الباطلة

وعقوبة من اتخذ أنداداً من دون اللّه"

المبحث الثاني

أساليب القرآن في التنديد بالعبودية الباطلة وعقوبة من اتخذ أنداداً من دون الله

من المعلوم ومما لا شك فيه أن عبادة غير الله تعالى، بتقديم الشعائر التعبدية لغير الله شركٌ، وطاعة غير الله شركٌ، واتباع منهج غير منهج الله شركٌ، والتحليل والتحريم بغير إذن من الله: شرك، وقد حذَّر الله تعالى منه وبيَّن عاقبته[١]:

وقد سلك القرآن الكريم عدّة أساليب وطرق في الدعوة إلى توحيد الإلهية، وإبطال الباطل:

١/ منها: التنديد باتخاذ الآلهة الباطلة وعمل على إظهار حالها من العجز الشنيع، والفقر البالغ، والغفلة عمن يدعوها ويفزع إليها[٢]. كقوله تعالى: ﴿ $ykø© ßèdt ÿw $B bqäÎô§ â

ÿnèqãß? bÎr ÇÌÈ šc rçÇÝf ÿnå¡ ÿR& ÿwr #ŽÇR ÿnç; bqã‹ÜGó„ ÿwr ÇÌÈ bqà=ßà ÿnèr

ûïÏ%©!$# bÎ ÇÌÈ šc qèÜ» ¹ ÖÉR& P& ÿnèqßèqãŠ& ßàø«æ â¨q™ ÿnà2 qèÎGƒ ÿw 3“ ‰çλ$’‹Î

ÖÉZä bÎ Öà6 9 ¨qçÉGó Šù ÿnèqãš$$ ÿnà6 æWB& Š$6ã ‹ $ÈrB `B šc qãß?

æãã& ÖÏG9 Ç& $k bqàÜÇ ‰f& ÿnç; Ç& $k bqàßƒ@ã_ ö& ÏG9& ÇÌÍÈ ûÏ%»¹

Ÿxù èrß‹Ï ÿnèÿä!.Žà ¨qãš$$è $k bqãJó„ Òc #Œ#ä ÖÏG9 P& $k šc rçÇÝf

.[٣]á ÇÌÍÈ èrèàZê

بيَّن الله في الآية بطلان تلك الآلهة، بالمناقشة العقلية التي تدل على عجز الآلهة عن المشاركة في بناء الكون، وإيجاده، أو خلق شيء فيه، في مقام الاستفهام الإنكاري التي صور فيها حقيقة هذه المعبودات.

---

(١)انظر المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية تقديم: د. عبد الله العبادي، تأليف: عثمان جمعة ضميريَّة مكتبة السوادي للتوزيع، ص٢٥٤، لا يوجد طبعة.

(٢) دعوة التوحيد أصولها والأدوار التي مرت بها – مشاهير دعاتها د. محمد خليل هراس، ٣٩، مكتبة الصحابة طنطاش الجنبية الغربي خلف المعهد الأزهري.

(٣) سورة الأعراف، الآيات ١٩١ – ١٩٥.

وأخبر في آية أخرى عن عجز هذه الآلهة فقال: ¾ïÏrßˆÏ OÇÐã– ûïÏ‰Ÿ(qãŠ$ÈÈâ:

á ÇÎÈ ¸xƒéÐ Ïwr ïã¸Ïã ÎØ9$#â. šc qãÎÐƒ Ïù[1].

وغير ذلك الكثير من الآيات[2].

٢/ ومنها التشنيع بحال العابدين لهذه الآلهة الباطلة، ورميهم بالضلال والسفه، حيث رضو لأنفسهم أن يعبدوا ما لا يسمع ولا يبصر، ولا يملك لهم ضـــراً ولا نفعـــاً ولا تغـــني شفاعته عنهم شيئاً[3]، وذلك مثل قوله تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام في خطابه لقومه: á ÇÏÈ šc qèÉè? Ïù& «!$ÈrßˆÏ šc rßçè? $JÏr&Ÿ‰âéâ[4].

وكقوله في سورة العنكبوت Ôà6 ÏºE qàÒ?$r ©!$(rßçã$ÏÏ)Ï A$%Ïj OŠÏ•Ïr â šc qàÒ?$r $Z%Ïr& «!$ÈrßˆÏ šc rßçè? $JÏ Çï È šc qÃ-è? ÔÇà2 bÎ*sù šc qàÒƒÏw «!$ÈrßˆÏ šc rßçè? ûïÏ‰Ÿc Î*sù «!$‰ZÏã (qáGÏ%$]ÏÒ*sù šc qãÎÐƒ Ïw «!$ÈrßˆÏ šc rßçè? ûïÏ‰Ÿc Î*sù[5].

وقولـــــه ÏŠÏäÔ´Î OÃ9 bqçÉGó„Ïw ¾ïÏrßˆÏ bqãßƒ ûïÏ‰Ÿ ÈtÔäqãŠ¾ç9â

á Ï@»=Ê 'ÎŠÏ ûïÍÏ»3Ÿ2ãæŠ$Br ¾ïÍ7Î qè$Br çù÷æÏäJŸ2'<Î ÏÏ. ÅÁÅ»6.[6]

فشبه في هذه الآية حال الداعين لغير الله في ضياع دعائهم وعدم حصولهم منه علـــى طائل بحال من حبس على نهر وهو ظمآن فبسط كفيه على صفحة الماء طامعا أن يبلغ

---

(١) سورة الإسراء، آية ٥٦.

(٢) انظر للاستفادة سورة طه ٨٩، سورة الأنبياء ٣٤ سورة الحج ٧٣ سورة سبأ ٢٢، ٢٣ ســـورة فـــاطر ١٣، ١٤ سورة يس ٢٣، سورة الزمر ٣٨ سورة غافر ٤١، ٤٢، ٤٣، سورة الأحقاف ٤، ٥، ٦.

(٣) دعوة التوحيد محمد هراس ٤٢.

(٤) سورة الأنبياء آية ٦٧.

(٥) سورة العنكبوت، الآيات ١٦، ١٧.

(٦) سورة الرعد آية ١٤.

الماء فاه، وليس الماء ببالغ فاه أبدا حتى يغترف منه بيده فكذلك هؤلاء لا يـــستجاب دعاؤهم أبداً[١].

٣/ منها تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين، وبين الأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعاداة وتنصل المعبودين من جناية هؤلاء العابدين وإنكارهم أن يكون لهم يد في إضلالهم وشركهم[٢].

وذلك مثل قوله: [illegible] [٣].

وقال سـبحانه: [illegible] [٤].

(١) عقيدة التوحيد، محمد هراس ٤٣.

(٢) عقيدة التوحيد ٤٣.

(٣) سورة البقرة ١٦٥ – ١٦٦.

(٤) سورة الأعراف ٣٧، ٣٨.

وقوله: $Zu“ù ïäd.Žà r ÔE&R% Nà3R%3B (qäŽõ& ûïŸ‰Ø Aqà R Nê$èŠld Nèlžà tU Pò r â :

bÎ Nà3Z•/r $ZY•/ #‰‹Í - «‹ Sî 4"3ù ÇïÈ brß‰žè? RƒÎ Lêäa $B Nèld.Žà A$%r Nà3Z•/

«‹ $'‹Î (ÿŠâr NÝ=Õ% $B <S ÿR @ä (qæÕ? 7 Ï$Zèd ÇïÈ šú üÎÝ»ó9 Nà3Š$6Ëã ôã $Zä

.(١) á ÇïÈ šc ržÐÿƒ (qß. $B Nåãã @Ê r Ès ‰$ÐG99ÿB

٤/ ومنها بيان أن جميع المعبودات هي دونه لا تماثله من جميع الوجوه(٢) كما قال سبحانه:

¢ Û‰ßÌ•/à `Br •» Á ÔF{$r ì õ¡ 9$3Ž Îõƒ `B& ÇÚ ÔF{$r ä$J¡ 9$`Ï B Nà3èæƒ `B @è â

Ÿù& @à ù ª! $bqèqàŠ¡ ù •ÐF{$ê‘‰ã `Br ÇÛ ‰ßÆE Ï B MhJ ‰ßÌ•/ar ÏMhJ ‰ß`Ï B

.(٣) á ÇïÈ bqà6?

٥/ إيضاح ما اتصف به من صفات الكمال وانتفائها عمن سواه وأنه سبحانه متره عما يصفونه من صفات لا تليق به(٤) كما في قوله سبحانه: $J. ø‹Î#ä ÿçèB b‰. ö@©è â:

.(٥) á ÇïÈ Ÿw‹Î™ Ä¸ éê‰$ “ Ï 4‹Î (öóGÚv #Ï Î) bqèqàf

٦/ نفي الألوهية عما سواه سبحانه وإثباتها له وحده لا شريك له(٦).

كما أن من انفرد بالاسماء الحسنى، والصفات العليا، هو المستحق للعبادة وحده ففي آية الكرسي التي هي أعظم آية في كتاب الله يقول تعالى: óÕ‰$qè Ÿv Î m»9Î w ª! $â:

“ Ï‰Ø$#Ë `B ÇÚ ÔF{$'Î $Br ÏNºq»Ja¡ 9$'Î $B ¼çØ©Ø ÖÚR Ÿwr ßZÅ ¼çà ç7Ù Ÿw ãq•)‰$

ôÏ ãÓ´Î bqèŠÅ ãŸwr Nßÿèz $Br ÔÎgƒ‰f‰ šú ü/ $B ã=èƒ ¾ïÏ®ÎÎ Ÿv Î ÿç‰Yã ßÿê„

---

(١) سورة يونس ٢٨، ٢٩، ٣٠.

(٢) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد، إعداد إبراهيم البريكان (٥٢٠/٢) دار ابن القيم دار ابن عفان للنشر والتوزيع.

(٣) سورة يونس، آية ٣١.

(٤) منهج شيخ الإسلام (٥٢٠/٢).

(٥) سورة الإسراء، آية ٤٢.

(٦) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (٥٢٣/٢).

.[١] á ÇíÎÈ ÐŠèøš

٧/ إيضاح أن المشركين ليس لديهم دليل عقلي ولا سمعي على شركهم[٢] كما قال سبحانه: Ï Ê ÉÈ Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! Ð

.[٣] á ÇíÈ šú üÏ‰» ¹

وقال سبحانه: Ï Ê É È Ç Æ Å Ä Ã Â Á À ¿ ¾ ½ ¼ » º ¹ ¸ ¶ µ ´ ³ ² ± ° ¯ ® ¬ « ª © ¨ § ¦ ¥ ¤ £ ¢ ¡ ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! Ð

.[٤] á ÇíÈ šc qèÉèf ÐÇ)Ï M»fÐ$@Ã_ÿÇ

"فهذا مثل ضربه الله عز وجل لمن جعل له شريكاً من خلقه كأنه قال: أخذ مثلاً وانتزعه من أقرب شيء منكم وهي أنفسكم... هل ترضون لأنفسكم وعبيدكم أمثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد أن يشارككم بعضهم (في ما رزقناكم) من الأموال وغيرها ؟ فأنتم معاشر الأحرار والعبيد في ذلك الرزق سواء، من غير تفضله بين حر وعبد، يحكم مماليككم في أموالكم كحكمكم فكما أنكم لا ترضون لأنفسكم مشاركة عبيدكم في أموالكم فكيف ترضون لرب الأرباب ومالك الأحرار والعبيد أن تجعلوا بعض عبيده له شركاء [٥].

---

(١) سورة البقرة، آية ٢٥٥.

(٢) منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في تقرير عقيدة التوحيد (٥٢٣/٢) .

(٣) سورة الأحقاف، آية ٤.

(٤) سورة الروم، آية ٢٨.

(٥) تفسير النسفي مدارك التنزيل وحقائق التأويل، لعبد الله بن أحمد النسفي، دار المعرفة، بيروت – لبنان بتصرف ٩٠٧.

٨/ أن النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ندد بالمعبودات الباطلة وذكر الأدلة الواضحة على بطلانهـــا فقـــال: ûïŸ%Ⓢ$‰ôçã& Ix ù ÓÍƒŠ `Ï ¢ © 'Î ÷ÆZä bÎ â $Z9$$‰Š»ƒ @è â

ûüŸÏ%s3ø$ `Ï bqä& h& ÝV ëÏé ÑâŽ8@qGƒ " Ÿ%Ⓢ©$‰ôçã& ôÅ»9r «! $ÈErŠ `Ï brçè?

`Ï áŽ? Ÿwr ÇÍÈ šú üÏÎ?3ø$šÆ Ï ûðqã? Ÿwr $Z<Ïm ÈïÏ#Ÿ 7gô_r ÓŸ% h& r ÇÍÈ

.[1] á ÇÍÈ ûüÙÎ»@9$ `Ï #Ï 7Rîù M÷èù bîù 8ŽØƒ Ÿwr 7ãyZƒ Ÿw $B «! $ÈErŠ

تبين من هذه الآية تنديده – عليه الصلاة والسلام – لتلك الآلهة المزعومة بأمور:

أ/ في قوله: («! $ÈErŠ `Ï brçè? ûïŸ%Ⓢ$‰ôçã& Ix ù) نهى أن يعبد أي صنم أو نحوه؛ لأنها لا تخلق، ولا ترزق، ولا تدبر شيئا من الأمور، فليس فيها ما يقتضي عبوديتها.

ب/ (ÑâŽ8@qGƒ " Ÿ%Ⓢ©$‰ôçã& ôÅ»9r) فالذي خلق الخلق، ثم يميتهم، ثم يبعـــثهم للبعـــث والجزاء هو وحده المستحق للعبادة.

ج/ ($Z<Ïm ÈïÏ#Ÿ 7gô_r ÓŸ% h& r ûüŸÏ%s3ø$ `Ï bqä& h& ÝV ëÏé) فالإخلاص في العبادة بالقيام بسائر الأعمال الظاهرة والباطنة لله، وإقامة جميع شرائع الدين حنيفاً أي مقـــبلاً على الله معرضا عما سواه[2].

وقد بين تعالى أن من أشرك مع الله غيره فقد حبط عمله وأصبح من الخاسرين في الدنيا والآخرة قال تعالى: 7øÎ ÓÇré©)9r ÇÍÈ bqèg»gø$$‰ôçã& pÏyèø9 «! $Žöù& @è â

©$è/ ÇÍÈ `ÎÅ»ø$ `Ï £Rqã9r 7èå £Ü6s‹9 MøŽõ& ê•ïö% `Ï ûïŸ%Ⓢ'‹Ïr

. [3] á ÇÍÈ ûïÏÅ»±9$šÆ Ï `är ©ôçã$

وقال سبحانه عن نبيه – عليه الصلاة والسلام – ونهيه له أن يعبد مع الله غيره: â * è@

h& ÑÏ©Ér 'Îs `Ï M»Ÿ©s'Îa! ` $£9 «! $ÈErŠ `Ï bqãô? šú ïŸ%Ⓢ‰ôçã& h& M»Šçç'Ïj

(١) سورة يونس: ١٠٤ – ١٠٦.

(٢) انظر تفسير السعدي: ٣٧٥.

(٣) سورة الزمر: ٦٤، ٦٦.

`Ï ßM»YÉ¢ß'Îä¦` $Ï9) : (9Ï $ `Ï ßM»YÉ¢ß'Îä¦` $Ï9) : وبين السبب في النهي فقال[1] á ÇÏÌÈ šú üÜ=»è¢ßÉ•Ï NÎ?Yé

'Îß) وهي الأدلة العقلية والنقلية فإنها توجب التوحيد[2].

وقال أيضاً: â ©Ïê «¦ $ÈrŠ `Ï bqã¢? šú ï‰Ï$‰çã& Þ& ßMŠíç 'Ïî ©Ïê â

'Îß `Ï ÞZÉ 4?ã 'Ïî ©Ïê ÇÌÈ ûï‰FÛß¢šÆ Ï $B $Br #Ì) ßM¹Ê ‰ Nà2 ä¦qe&

qèr ¨, s¢•È à ƒ ¬ ¦ ¢ß3Î¢ß)Î ¥ïÎ šc qèÉèGó¡ $B " ‰ZÏã $B ¾ïÎ OÉÞ¦Ÿ2 r

á ÇÎÈ û,Î#Ã»ï¢ßÞz[3].

وقوله تعالى: â ?Ÿù Ÿ7 ¦ $ÏÏ ÞÞ¦ÏB 'Îß ¦ $B ïw¨d ‰Þ¦Ï $J. ¦ ¢ß) šc r‰Þ¦Ï $B ïw¨d ‰Þ¦Ï $ÏÏ ÞÞ¦ÏB 'Îß ? Ÿù â

تبين من هذه الآية أن العبودية[4] á Ç ÈÉ <É qàZB Žöî Nå•Ã R Nèqù¬q39 $Î Þ¦r @Ø `Ï

الباطلة جهل، وضلال، وأن عبوديتهم لها ليس لها دليل في العقل أو النقل بل بسبب تقليد الآباء[5].

---

(١) سورة غافر: ٦٦.

(٢) تفسير فتح القدير (٥٠١/٤) .

(٣) سورة الأنعام: ٥٦ – ٥٧.

(٤) سورة هود: ١٠٩.

(٥) انظر تفسير ابن كثير:(٥٩٩/٢).

المبحث الثالث

أنواع ما عُبد من دون اللّه

المبحث الثالث

أنواع ما عُبد من دون الله

لقد سلك القرآن المسلك الأمثل والأوضح في تعداد المعبودات التي عبدت من دون الله، و لم يكتف بذكرها فقط بل نبه على خطأ من عبدها وذكر المبررات التي دعت هؤلاء الكفرة إلى عبوديتها، ثم بين زيفها، وأنها مخلوقات لله لا تنفع ولا تضر، وأن النافع والضار والمستحق للعبودية هو خالقها وموجدها وحده لا شريك له وهذه المعبودات على خمسة أنواع هي: أولاً: الملائكة. ثانياً: الأنبياء والصالحين والأحبار والرهبان. ثالثاً: الأصنام. رابعاً: الحسن. خامساً: المخلوقات الكونية.

أولاً: الملائكة: ادعت طائفة من المشركين عبودية الملائكة وأنها تستحق أن تعبد مع الله ولهذا جاء التوبيخ لمن عبدهم في قوله سبحانه وتعالى: [illegible]

[illegible][1]

فالملائكة الكرام تبرأوا من عبادة عابديهم بقولهم: (سبحانك) أي تنزيهاً لك وتقديسا أن يكون لك شريك أو ند[2].

كما زعمت طائفة أخرى بأن الملائكة بنات الله، والأدلة في القرآن على هذا كثيرة منها: قوله سبحانه: [illegible]

[illegible][3] فهم مع ما هم عليه من ضلال، ادعوا زيادة على كفرهم أن عبادتهم للملائكة كانت عن رضا من الله، وتحت مشيئته، أرادوا بذلك بيان أن ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى[4] وقال سبحانه: [illegible]

---

(١) سورة سبأ: ٤٠.

(٢) تفسير السعدي: ٦٨٢.

(٣) سورة الزخرف: ١٩، ٢٠.

(٤) تفسير أبي السعود (٦/٢٩).

بيّن الله في هذه الآية حقيقة الملائكة وأنهم عباد الله المكرمون، فهم في منازل عاليـــة ومقامات سامية، وهم قائمون بعبودية ربهم في غاية الطاعة له قولاً وفعلاً، لا يفتـــرون ولا يسأمون [٢] كما أنهم لا يتقدمون بين يديه بأمر، ولا يخالفونه فيما أمرهم به بل يبـــادرون إلى فعله، وهو تعالى علمه محيط بهم فلا يخفى عليه منهم خافية[٣] فيتبين بهذا أنهم لا حق لهم في الألوهية ولا يستحقون شيئاً من العبودية، بما وصفهم به من الصفات المقتضية لذلك، ذكـــر أيضاً أنه لاحظ لهم ولا بمجرد الدعوى وأن من قال منهم:(إني إله من دون الله) على سبيل العرض والتنـــزل "فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين".[٤]

ثانياً: عبودية الأنبياء و الصالحين والأحبار والرهبان

عيسى عليه السلام وعزيز: - قال تعالى:

هذه المقولة الشنيعة التي صدرت من طائفة اليهـــود [٥] وطائفة النصارى بيَّن الله كذبها وزيفها حيث قال: "ذلك قولهم بأفواههم" أي لا مـــستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلاقهم إلا أنهم يشابهون قول من سبقهم من أهل الكفـــر والضلال في الأمم السابقة[٦].

---

(١) سورة الأنبياء: ٢٦، ٢٩.

(٢) فصلت: ٣٨.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٢٣٦/٣) .

(٤) تفسير السعدي: ٥٢٢.

(٥) سورة التوبة: ٣٠.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير (٤٥٨/٢) .

كما بين الله وظيفة عيسى عليه السلام وأنها مقتصرة على عبودية الله قال سبحانه: [1].

وقال عيسى – عليه السلام – [2] ففي هذه الآية أبطل عيسى _عليه السلام_ كونه إلها وعدم صلاحيته للألوهية والربوبية، وأن من له صفات الألوهية والربوبية هو الله وحده؛ ولهذا جاء بأسلوب الأمر "فاعبدوه" فهو المستحق فعلاً للعبودية.

ولا أريد أن أطيل في هذا المقام؛ لأنني سأتعرض لعبودية عيسى – عليه السلام – في مبحث مستقل – إن شاء الله – .

أما عن عبادة الأحبار والرهبان قال تعالى: [3] **وقوله تعالى:** [4] أي أن الكفار اتخذوا علماء اليهود، وعُبَّاد النصارى، أرباباً يعني أطاعوهم كما يطاع الرب ولهذا لما وجد رسول الله ﷺ على عدي بن حاتم صليباً من فضة وهو يقرأ هذه الآية قال عدي إنا لم نعبدهم فقال عليه الصلاة والسلام: "بلى إنهم حرموا عليكم الحلال وأحلوا لكم الحرام فاتبعتموهم فتلك عبادتكم"[5].

---

(١) سورة الزخرف: ٥٩.

(٢) سورة آل عمران: ٥١.

(٣) آل عمران: ٨٠.

(٤) سورة التوبة: ٣١.

(٥) ذكره الحافظ بن كثير في تفسيره (٢/ ١٣٥) وعزاه لأحمد والترمذي وابن جرير من حديث عدي بن حاتم وهو في جامع الترمذي برقم (٣٠٩٥) وتفسير بن جرير (٦/٣٥٤، ٣٥٥) وقال الترمذي هذا حديث غريب .

ثالثاً: الأصنام: قال إبراهيم – عليه السلام – منكراً على أبيه وقومه عبادتها:

@d A$% ÇÐÈ ûüÿÂ»ã $I; @àÝù BZÎ & ‰çèR (qè% ÇÐÈ br‰çè? $B ¾ÏÏBq‰r Ï‹ÎL{ A$% Ø) â

7Ï° < . $Rä$/#ä $R‰ ` r @/ (qè% ÇÐÌÈ br‰Ø„ r& %Ï3RqãÝZƒ r& ÇÐÈ bqã‰? Ø) Ï3RqãJó„

A‰ã %Ï3Îù ÇÐÏÈ bqè%‰Ø{ $è2 ä/#är ÓÇR& ÇÐÎÈ br‰çè? ÓÇZä $B OÇ¿ä•ù& A$% ÇÐÍÈ bqèÝØƒ

BZÎ & äÏ, G?& '–#ä Ï‹ÎL{ Ð‹ÏÐ°•Î) A$% Ø)r â: وقال أيضاً[1] á ÇÐÈ ûüÏ=è‰Ø$ > ' ‰Ï) þk

á ÇÐÍÈ &ûÎB @»Ê 'Î 7 Bqï%r 71'& þÎ) þgÏ#ä ففي الآية الأولى بيَّن الله اعتراف هؤلاء العابدين أن أصنامهم لا تفعل شيئاً، فهي لا تسمع الدعاء ولا تنفع، ولا تضر، وذكروا السبب الذي دفعهم لعبوديتها وهو تقليد الآباء[2]؛ ولهذا بين إبراهيم عداوته لهذه الأصنام إذ ليس هناك ثمرة مرجوة من عبادتها؛ ولأجل ذلك دعا ربه أن يجنبه عبادتها â b& Ó/r Ó_ÎÎ_ Ø r â . [3] á P$Y Ø r& ‰çèR

وجاء في القرآن الأصنام بلفظ التمثال كقوله:

التماثيل: قال تعالى â)9r Ï‹ÎL{ A$% Ø) ÇÎÈ ûüÏ»ã ¾ÏÎ $Zär @6% ` Ï ¼ç‰Ø â LÌÏ°•Î) $Y?#ä ‰) 9r â

šú ï‰Î»ã $I; $Rä$/#ä $R‰ ` r (qè% ÇÎÈ bqãÂ»ã $I; ÓÇR& ÓÉ$Ø$Ï$J9$ÍÉ»d $B ¾ÏÏBq‰r

á ÇÎÌÈ[4]. والتمثال: اسم لشيء مصنوع مشبه بخلق من خلائق الله تعالى وهذا تجاهل منه - عليه السلام – حيث سألهم عن أصنامهم بغير التي يُطلب بها بيان الحقيقة...، كأنه لا يعرف ماهيتها مع إحاطته بأن حقيقتها حجر أو شجر اتخذوها معبودات من دون الله[5].

---

(١) الشعراء: ٧٠ – ٧٧.

(٢) تفسير ابن كثير (٣/٤٤٦) .

(٣) سورة إبراهيم: ٣٥.

(٤) سورة الأنبياء: ٥١، ٥٣.

(٥) انظر تفسير أبي السعود (٤/٣٤٣) .

الطاغوت: لقوله: [1] وقوله في مدح عباده المؤمنين الذين تركوا عبادة الطاغوت، ولزموا عبودية الله [2].

الأنـــــداد: لقولـــه تعـــالى: [3]. وقـــال: [4] وقال أيضاً: [5] والأنداد يراد بهم الشبهاء والنظراء، أي المشركين يقرون بأن الله هـــو الخالق الرازق، المدبر، ويعلمون أنه لا إله مع الله في هذا لكنهم أشركوا معـــه في عبوديتـــه فجعلوا له الأنداد المشاركين له في العبادة[6].

الأوثـــــان: لقوله سبحانه وتعالى: [7].

الشفعاء: لقوله تعالى: [8].

يقول سبحانه عن هذه الآية: قل يا محمد لهؤلاء المشركون الذين اتخذوا من دونه آلهة تشفع لهم عند الله في حاجاتهم، أتتخذون هذه الآلهة شفعاء كما تزعمون ولو كانوا لا

---

(١) سورة المائدة: ٦٠.

(٢) سورة الزمر: ١٧.

(٣) سورة البقرة: ٢٢.

(٤) سورة الزمر: ٨.

(٥) سورة فصلت: ٩.

(٦) انظر تفسير الشيخ ابن عثيمين (١/٧٦).

(٧) سورة العنكبوت: ١٧.

(٨) سورة الزمر: ٤٣، ٤٤.

يملكون لكم نفعاً ولا ضراً ولا يعقلون شيئاً، قل لهم إن كانت عبوديتكم لأجل ذلك فأفردوه بالعبودية، وأخلصوا له الدين، فإن الشفاعة لله جميعا، لا يشفع عنده إلا من أذن له ورضي له قولا، وأنتم متى أخلصتم له العبادة فدعوتموه سيشفع لكم[١].

الأوليـــــاء: لقوله سبحانه: MR& $Br ÍÎÏöãã îáŠÿm ª! a‹Ïr& ¾ÿÏRr Š `Ï ¢ràƒB$ûïÏ%©Ï â (٢) والأولياء أصنام يتولونها ويعبدونها[٣]. وقد بين الله عقوبة من اتخذ من دونه أولياء قال تعالى: `Ï ¢ràƒB$$B ÏÏr $\ø© ¢qçi . $B Nèêã ÓÍóêÏÏr èeg_ ÍÎíH‘r `Ï â (٤).

رابعاً: الجن: قال سبحانه على لسان الملائكة حين نزهوه عن أن يكون معه معبـــود يعبـــد ÇÍÈ bqäBs3B ÍÍ5 Nèdçò2 & £É ø9$brß7è ¢qç. @/ NÎgÏrŠ `Ï $ZŠÏr MR& 7Ÿ»s6ß ¢qø% â (٥) المراد بعبادة الجن هو العياذ بهم، واللجـــوء إلـــيهم في الأهـــوال، ونقـــص الأنفـــس والأموال[٦]، فالشياطين يأمرون بعبادة الملائكة، أو عبادة غيرهم فيطيعونهم، فطاعتهم هـــي عبادتهم؛ لأن العبادة هي الطاعة [٧].

الشيطان: خاطب الله عباده بأن لا يتخذوا مع الله معبوداً غيره قال ســـبحانه: ß9% â (٨) فالله سبحانه أوصى بني آدم على ألسنة الرسل بعبادته وحده وألا

---

(١) تفسير ابن جرير (١٠/١١) .

(٢) سورة الشورى: ٦.

(٣) تفسير ابن جرير (١٢٩/١١) فتح القدير (٥٢٦/٤) .

(٤) سورة الجاثية: ١٠.

(٥) سبأ: ٤١.

(٦) المصطلحات الأربعة في القرآن، لأبي الأعلى المودودي، ٩٥ تعريب السيد محمد كاظم سباق، الـــدار الـــسعودية للنشر والتوزيع ط الأولى ١٤١٤هـ-١٩٩٤.

(٧) تفسير السعدي:٦٨٢.

(٨) سورة يس: ٦٠، ٦١.

يعبدوا الشيطان مع الله فتشركوه في عبوديته فإن ترك عبادة الشيطان، والقيام بعبادة الرحمن هو الإسلام والصراط المستقيم[(١)].

وقال سبحانه على لسان إبراهيم – عليه السلام – ناهياً أباه عن عبادة الشيطان â M/'‹ƒ Ÿ ‹Çè? $‰$9 Üœ» ` bĵ $9 Üœ» ` .b‰ ﻯq Ç»H ã ÃÑ$ ÇÍÍÈ á[(٢)].

خامساً: عبادة المخلوقات الكونية كالشمس والقمر قال الله في قصة سليمان – عليه السلام – مع ملكة سبأ: â r` %?g$ r%ﻯgB$ „ó ﻯ‰r 9=ð ß Ä ß` ßr Ëð$ «ﻯ r–ƒ ` 9ß ß

Üœ» 9$ ßJ ãJ Úß ù Á ﻯ‰d ãÇ 9$ ¡¡ ŧ ù ß ƒ ĝ ß%r ÇÊÍÈ á[(٣)]. وقال حكاية عن مملكة سبأ أيضاً: â r ¹ ‰d$ B$ .R‰M ?Çè% ß` ß rÈ$ «ﻯ ĵ$ .R‰M ß` ß %Çq .»‰ ÿìŭ ÇÍÌÈ á[(٤)]. وقال سبحانه مبيناً أن الشمس والقمر من مخلوقات الله وأنها لا تصلح للعبودية بحال من الأحوال وأن المستحق للعبادة خالقها وموجدها: â r Ĕô ä#ƒ» Ġï $‰Ø@ $9‰Y g$ ã $9=ð ß)J ã Ÿ

ﻯ‰óﻯ r Ä ß=ð ﻯ‰ ﻯr Ÿ ﻯ)J ‰ﻯ 9$ Ú‰Ä ﻯr $ #‰% “ z=)ß Æ bĵ 2àﻯ ĵ$ ¡ Ǩ? ?Çè‰ ﻯr c š ÇÌÐÈ
á[(٥)].

---

(١) انظر: تفسير البغوي (٤/١٦) أيسر التفاسير(٤/٣٨٨) .

(٢) سورة مريم: ٤٤.

(٣) سورة النمل: ٢٤.

(٤) سورة النمل: ٤٣.

(٥) سورة فصلت: ٣٧.

المبحث الرابع

الطرق العقلية في إبطال عبودية غير الله تعالى الواردة في القرآن

المبحث الرابع

الطرق العقلية في بطلان عبودية غير الله تعالى الواردة في القرآن

حاجّ الله سبحانه عباده على ألسن رسله وأنبيائه، فيما أراد تقريرهم به، وإلـــزامهم إياه بأقرب الطرق إلى العقل، وأسهلها تناولاً، وأقلها تكلفاً وأعظمها غناء ونفعا، وأجلـــها ثمرة وفائدة، فحججه سبحانه العقلية التي بينها في كتابه جمعت بين كونها عقلية سمعية ظاهرة واضحة قليلة المقدمات سهلة الفهم قريبة التناول قاطعة للشكوك والشبه ملزمـــة للمعانـــد الجاحد ولهذا كانت المعارف التي استنبطت منها في القلوب أرسخ ولعموم الخلق أنفـــع[1].

ومن هذه الطرق والحجج:

١/ أن تلك المعبودات لا تملك لنفسها ضراً ولا نفعا فضلا عن عابـــديها؛ لأن عابـــديها أفضل منها حيث أن لهم روحاً وهم أحياء غير أموات بخلاف معبوداتهم قال سبحانه:

ïöî ÌN°qB& ÇÈ šc qà=fàÌNèr $\ø© bqàèèt ẅ <! $ÈrB `Ï bqãßf šú ïÏ%©!$# â

á ÇÈ šc qèèÇÇÇb$f& šc rèèèè„ $Br ßßßÔ& [2] أي وأوثانكم الذين تدعون من دون الله أيها الناس لا تخلق شيئا وهي تخلق، فكيف يكون إلها ؟ ما كان مصنوعا مدبراً لا تملك لأنفسها نفعاً ولا ضراً[3].

٢/ كما أنه بطريق العقل أن الخالق لجميع المخلوقات أفضل من المخلوق وأقـــوى، فهـــو الخالق، الرازق، المدبر، وما عداه من المخلوقات ضعفاء لا يملكون هذه الأمور فهـــو سبحانه وحده لا شريك له المستحق للعبادة قال سبحانه: ßèèt ẅ `J. ßèèt `Jù& â

á ÇÈ šc rèèz2 <? Ÿù& [4] ففي الآية تبكيت للكفرة وإبطال لإشراكهم وعبـــادتهم

---

(١) الصواعق المرسلة لابن القيم (٤٦٠/٢) دار العاصمة الرياض، النشرة الأولى ١٤٠٨هـــ.

(٢) سورة النحل: ٢٠ – ٢١.

(٣) تفسير ابن جرير (٥٧٣/٧) .

(٤) سورة النحل: ١٧.

للأصنام، بإنكار ما يستلزمه ذلك من عدم مساواة من له القدرة على الخلق بمـــن لا يملك مثقال ذرة[١].

٣/ كما أخبرت كثير من الآيات على أن الأصنام وسائر المعبودات لا تنفع ولا تضر قال سبحانه: ¾ïîí 4?ã ëü%3ø$b%.r ùèžØ„ ŵr ùõãÿZƒ ŵ $B «! $Âc rß `Ï br‰çè†r â: á ÇÎÌÈ #ŽÉûß[٢].

وقوله: ïŵwà»d šc qè=àƒr õõãÿZƒ ŵr ùèžØ„ ŵ $B «! $Âc rß `Ï šc r‰çè†r â: á «! $%ÝÑã $Rà»ëÿ@[٣].

فالله سبحانه ينكر على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلـــك الآلهـــة تنفعهم شفاعتها عند الله فأخبر سبحانه أنها لا تضر ولا تنفع ولا تملك شيئا[٤].

كما قال تعالى: ¾ïí Mçç§ø $Br $ZÜùø ¾ïí ëí\ãÕ9 $B «! $Âc rß `Ï br‰çè†r â: á ÇÈÐÃR `Ï ûüÏí»ë-9 $Br ùøè

وقال أيضاً: ª!$# $èÿR ŵr #ŽÑ ùà6 9 ä7Îõƒ ŵ $B «! $Âc rß `Ï šc r‰çè?& @è â: á ÇÏÈ ãÎè@$ßŠÜ¡¡9$qè[٦].

ونفى عنهم تمام العقل إن هم استمروا في غيهم وجعلهم تلك المعبودات آلهة من دونه سبحانه فقال: â ùæžØƒ ŵr $ºœ© ùà6 äÿZƒ ŵ $B «! $Âc rß `Ï šc r‰çèGù& A$% â: á ÇÏÈ šc qè=Ê? Ÿxù& «! $Ërß `Ï šc r‰çè? $J9r ß@Ê éÇÏÈ[٧].

---

(١) انظر: تفسير أبي السعود (٥٠/٤) .

(٢) سورة الفرقان: ٥٥.

(٣) سورة يونس: ١٨.

(٤) تفسير ابن كثير (٥٣٨/٢).

(٥) سورة الحج: ٧١.

(٦) سورة المائدة: ٧٦.

(٧) سورة الأنبياء: ٦٦.

٤/أن الرزق بيد الله، فهو يبسط الرزق لمن يشاء، يمنعه عمن يشاء وكل ذلك بحكمة منه وهذه المعبودات لا تملك الرزق للعابدين قال سبحانه: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ١٧]. (١)

وقوله سبحانه: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [النحل: ٧٣]. (٢) يخبر سبحانه عن جهل المشركين وظلمهم حينما عبدوا مع الله غيره؛ لأن تلك المعبودات لا تملك لهم أي (للعابدين) رزقا من السموات ولا الأرض ولا يستطيعون لو أرادوا(٣).

٥/نفى الله عن الآلهة المزعومة النفع مطلقا في قوله سبحانه: ﴿ يَدْعُو لَمَن ضَرُّهُ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِ ﴾ [الحج: ١٣] (٤) لم يقل يضر أعظم مما ينفع، ولا ريب أن بين المعبود من دون الله وبين ضرر عابديه تعلق يقتضي الإضافة، كأنه قيل: لمن شره أقرب من خيره وخسارته أقرب من ربحه(٥).

٦/ومما يدل أيضاً على ضعف الآلهة والشركاء أنهم لا يملكون لأنفسهم فضلاً عن عابديها مثقال ذرة، قال تعالى: ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢]. (٦)

---

(١) سورة العنكبوت: ١٧.

(٢) سورة النحل: ٧٣.

(٣) تفسير السعدي: ٤٤٥.

(٤) سورة الحج: ١٣.

(٥) انظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام بتصرف (٢٧٣/١٥) .

(٦) سورة سبأ، آية ٢٢.

قال ابن القيم – رحمه الله - :

فتأمل كيف أخذت هذه الآية على المشركين بمجامع الطرق التي دخلوا منها إلى الشرك، وسدها عليهم أحكم سد وأبلغه، فإن العابد إنما يتعلق بالمعبود – لما يرجو من نفعه – وإلا فلو لم يرجو منه منفعة لم يتعلق قلبه به، وحينئذ فلابد أن يكون المعبود مالكاً للأسباب التي ينفع بها عابده، أو شريكاً لمالكها، أو ظهيراً، أو وزيراً ومعاوناً له، أو وجيهاً ذا حرمة وقدر يشفع عنده، فإذا انتفت هذه الأمور الأربعة من كل وجه وبطلت، انتفت أسباب الشرك، وانقطعت مواده، فنفى سبحانه عن آلهتهم أن تملك مثقال ذرة في السماوات والأرض، فقد يقول المشرك هي شريكة لمالك الحق فنفى شركتها له، فيقول المشرك قد تكون ظهيراً ووزيراً ومعاوناً فقال: â $Br ¼ç9

فلم يبق إلا الشفاعة فنفاها عن آلهتهم، وأخبر أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، فهو الذي يأذن للشافع، إن لم يأذن له لم يتقدم بالشفاعة بين يديه كما يكون في حق المخلوقين، فإن المشفوع عنده يحتاج إلى الشافع ومعاونته له فيقبل شفاعته، وإن لم يأذن له فيها[1]، مما يدل على بطلان تلك المعبودات وعدم قدرتها على النفع والضر.

ومما يدل أيضاً على عجزها وضعفها: قوله سبحانه: Î â `Ïš c qãß? šú ï‰Ïèø9 .[2] á ¼çç9 (qãJGô_$#ur $Y/ê (qàÊ `9 «! $#ÏŠr

قال ابن القيم رحمه الله تعليقا على هذه الآية: فتأمل هذا المثل الذي أمر الناس كلهم باستماعه ! فمن لم يستمعه فقد عصى أمره كيف تضمن إبطال الشرك وأسبابه بأصح برهان، في أوجز عبارة وأحسنها، وأحلاها، وأسجل[3] على جميع آلهة

---

(١) الصواعق المرسلة(٢/٤٦١ – ٤٦٢) .

(٢) سورة الحج: ٧٣

(٣) أسجل بمعنى: سجلت الماء سجلاً إذا صببته صباً متصلاً وهو الدلو الضخمة المملوءة ماء، لسان العرب (١١/٣٢٤) .

المشركين، أنهم لو اجتمعوا كلهم في صعيد واحد، وساعد بعضهم بعضا وعاونه بأبلغ المعاونة؛ لعجزوا عن خلق ذباب واحد، ثم بين ضعفهم وعجزهم عن استنقاذ ما يسلبهم الذباب إياه حين يسقط عليهم، فأي إله أضعف من هذا الإله المطلوب ومن عابده الطالب نفعه وخيره، فهل قدَّر القوي العزيز حق قدره من أشرك معه آلهة؟ هذا شأنها فأقام سبحانه حجة التوحيد وبين إفك أهل الشرك والإلحاد بأعذب ألفاظ، وأحسنها[1] وقال سبحانه: ﴿ ﴾[2].

٧/أنها لا تسمع، ولا تبصر، ولا تغني عن عابديها شيئاً.

﴿ ﴾[3].

﴿ ﴾[4].

٨/أن هذه المعبودات من دون الله بمثابة الرجل الأبكم الذي لا يعقل ولا ينطق.

مثل ما أخبر سبحانه عن إبراهيم – عليه السلام - لما خاطب هذه الأصنام تهكما وسخرية بها ﴿ ﴾[5] وقال أيضاً ﴿ ﴾[6]، وهذا يدل على بطلان إلهيتها.

---

(١) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٢/٤٦٦ – ٤٦٧) دار العاصمة، الرياض.

(٢) سورة لقمان، آية ١١.

(٣) سورة فاطر، آية ١٤.

(٤) سورة الأعراف، آية ١٩٥.

(٥) سورة الصافات، آية ٩٢.

(٦) سورة الأنبياء، آية ٦٣.

وفي هذا المعنى ما ضرب الله تعالى من المثل لنفسه ولما يعبد من دونه حيث قال

4?ã @Ÿ2 qèr ãó_ « 4?ã ãÏ‰ø ŵ ñ 6 ò $Jèr n Ê#ã § W ª $ > Ÿ r â

Þ ŽÂ 4?ã qèr Ê è ê ` Br qè " ê ó „ @d Ÿ Ÿ2 Ï ŵ g Ã qã $JŽ ç ê B

.[1] á Ç Ï È Ê F ê B

قال ابن القيم – رحمه الله - "فالصنم الذي يعبد من دونه، بمنزلة رجل أبكم لا يعقل ولا ينطق، بل هو أبكم القلب واللسان، قد عدم النطق القلبي واللسان، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة، وعلى هذا فأينما أرسلته لا يأتيك بخير، ولا يقضي لك حاجة. والله سبحانه حي، قادر، متكلم، يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد"[2].

٩/ حاجتها للطعام والشراب وأنها مخلوقة مفتقرة فانية.

وسبب كون الطعام والشراب صفة نقص هو منافاتها الغنى المطلق والحياة الكاملة واستلزامها كثيراً من الآفات: كقضاء الحاجة والجوع والعطش والموت وغير ذلك من اللوازم التي لا تليق بمقام الألوهية وبهذه الحجة أبطل الله تعالى ألوهية عيسى ابن مريم – عليه السلام - التي ادعاها النصارى [3]. ê % Aq ' ŵ) O ƒ ê B Ú Æ ê Š Å J ê $ B â

Ú ú Î ç # ø Ÿ2 ê R $ P $ è Ö $ Ê X à2 ù $ R Ÿ2 p) ƒ ê ¼ ç B é @ $ ¹ $ ê ` B ê M = z

.[4] á š c qà ù ã 4 † ê R $ Ê Ï » ƒ ê $ Ê g

ولو كان يليق به ذلك أو يمكن؛ لكان الأولى به أن يكون من جنس لا يأكل ولا يشرب، ولا يكون منه الفضلات المستقذرة التي يستحي منها، ويرغب عن ذكرها[5].

---

(١) سورة النمل، آية ٧٦.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين (١/٢١٢) .

(٣) انظر الأدلة العقلية النقلية مع أصول الاعتقاد ٤٣١.

(٤) سورة المائدة، آية ٧٥.

(٥) الصواعق المرسلة (٢/٤٨٢، ٤٨٣) .

١٠/أن غياب الكواكب وزوالها أكبر دليل على بطلان عبادتها.

ومن ذلك قصة إبراهيم – عليه السلام - مع محاجة قومه لهـــذه الكواكـــب يقـــول سبحانه: ’Î 7Bqö%r 71‘& þõ) þgÿ#ä BZÐ & äÏ, G?& ‘–#ä ïŠ?Ł{ ÐŠÜº•ð) A$% ø)r * â

`Ï bqã<ïr Çí öF{$ ïNºq»Jj¡ 9$Nqã=B OŠÜº•ð) ü ïrçš• ÿº< . r ÇÐÍÈ &ü?B @»=Ê

⇐ïnéw A$% @ù& $Ð=ù ’Îï #<»d A$% $Y.ö. #ä‘ @ø$ïnøã £_ $Ð=ù ÇÐÎÈ ûüŸ‰qß¹$

á ÇÐÏÈ šú üÏïŸ$[1].

â أي: غاب ذلك الكوكب â á šú üÏïŸ$⇐ïnéw A$% @ù& $Ð=ù á أي الذي يغيب ويختفي عمن عبده، فإن المعبود لابد أن يكون قائماً بمصالح من عبده ومدبراً لـــه في جميع شؤونه، فأما الذي يمضي وقت كثير وهو غائب فمن أين يستحق العبادة ؟ وهل اتخاذه إلهاً إلا من أسفه السفه وأبطل الباطل[2].

١١/عجزها عن الدفاع عن نفسها والكيد بأعدائها[3].

قوله سبحانه â á šc qèsóÁã$ZÐ Nèïwr ïÍ‾ÅÝãR& •óÁR šc qã<ÜFó„ïwâ أما عجز الآلهة عن الكيد بأعدائها، فقد اتخذه الأنبياء برهانا على بطلانها واحتجوا به على المشركين حيث تحدوهم غاية التحدي أن يُلحقوا بهم هم وشركاؤهم أدنى أذى؛ وذلك علـــى الرغم مما صرح به الرسل من احتقار وتسفيه لشأن هذه الآلهة، ومن يعبدها، ووصفها بما هي أهله من العجز والنقص كما ذكر الله تعالى ذلك عن بعض أنبيائه[4].

فقال عن نوح – عليه السلام - * â :Ï) Éö)»ƒ ¾ïnÐö)ï A$% ø)r 9qè 'ÉR ïÍ‾ã @øæ

ïä•Bæ (þèÐd'ù ÅÝz2 q? «ï$ ’?èù «ï$ ÏM»ƒ$«Î “ Î•Ïõ?r ’Ï$)B /ãøæ žã b%.

á ïrèÐZêïwr ¥<Î (þÐ¥$Ôêz ïãøæ ïäéB& ôãƒ ïw Ôêïää!.žãr[5].

---

(١) سورة الأنعام، الآيات ٧٣، ٧٦.

(٢) تفسير السعدي ٢٦٢.

(٣) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد، عالم الفوائد ٤٣٨.

(٤) المصدر السابق، ٤٣٩، ٤٤٠.

(٥) سورة يونس، آية ٧١.

وقال عن هود – عليه السلام – حين قال له قومه: ﴿ قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: ٥٣]، وقال عن نبيه صالح – عليه السلام – حين قال له قومه: ﴿ قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾ [هود: ٦٢]، وقال عن نبيه شعيب – عليه السلام – حين قال له قومه: ﴿ قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴾ [هود: ٨٧]، وقال عن نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم -: ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴾ [ص: ٤]، ﴿ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص: ٥].

١٢/ إذن يتبين مما مضى أن تلك المعبودات لا تصلح للعبادة بحال من الأحوال وأن الله تبارك وتعالى هو الإله الحق وهو المستحق للعبادة وحده دون سواه لما له من صفات الكمال ولهذا يقول سبحانه: ﴿ وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾ [البقرة: ١٦٣].

يقول ابن القيم معلقاً على هذه الآية:

(أي لو كان في السماوات والأرض آلهة تعبد غير الله لفسدتا وبطلتا، ولم يقل أرباب، بل قال آلهة والإله هو: المعبود المألوه، وهذا يدل على أنه من الممتنع المستحيل عقلاً أن

---

(١) سورة هود، الآيات ٥٤ – ٥٦.

(٢) سورة الأنعام، الآيات ٨٠ – ٨٢.

(٣) سورة الأعراف، الآيات ١٩٥ – ١٩٦.

(٤) سورة الأنبياء، آية ٢٢.

يشرع الله عبادة غيره أبداً، وأنه لو كان معه معبود سواه لفسدت السماوات والأرض فقبح عبادة غيره قد استقر في الفطر، والعقول، وإن لم يرد النهي عنه في الشرع، بل العقل يدل على أنه أقبح القبيح على الإطلاق، وأنه من المحال أن يشرعه الله قط فصلاح العالم في أن يكون الله وحده هو المعبود، وفساده وهلاكه في أن يعبد معه غيره، ومحال أن يشرع لعباده ما فيه فساد العالم وهلاكه، بل هو المتره عن ذلك"[1].

(١) مفتاح السعادة (٢/١١) .